بلسم عابد

نقطة انتقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إهداء

أهدي هذي الحكاية لمحبي الكتابة البسيطة ...

إلى صديقاتي على الفيسبوك من كل العالم العربي ...

إلى بنات وطني تونس الغالية ...

إلى أصحاب العقول البسيطة الذين سيقرؤون الحكاية من أجل المتعة و ليس من أجل نقد الأسلوب و النحو و الصرف ...

و

إلى مجتمعنا الذي لبس حلة لا تناسبه ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملاحظة:

هذه ليست رواية ...

كتبت هذه الحكاية بأسلوب بسيط ...

هدفي هو المتعة ...

و تقديم صورة مختلفة للحياة بطريقة تتقبلها العقول البسيطة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هناك في أحد مدن الساحل الجميلة...

في أركان أحد الغرف الصغيرة في أحد المستشفيات على سرير مفروش بغطاء أبيض اللون تمدد ذلك الرجل ذو ال 50 سنة ضخم الجثة و عريض الأكتاف تعلو قسمات وجهه شحوب و إرهاق شديدين ...

كان يلتقط أنفاسه بصعوبة كبيرة...

تناثرت على جبينه بضع قطرات من العرق لتعبر عن الم شديد مكتوم..

بينما هو على تلك الحال دخل عليه شاب طويل يبدوا في العشرينيات من عمره...

تغلب على ملامحه القوة و الوسامة...

تميزه عينين سوداويتين شديتا السواد...

و بؤبؤين كبيرين كعينا أسد ثائر يشع منهما وميض شجاعة لم يطفئهما حتى حالة الذعر و الحزن الذين يكسوانهما في تلك اللحظة ...

تقدم بسرعة من الرجل و حمل يديه بين كفيه محاولا منع دموعه من النزول.. تتزاحم أنفاسه الفزعة و هو يقول بصوت مرتعش: معلمي هل أنت بخير ؟؟...

ابتسم نبيل ابتسامة شاحبة و قال بصوت قريب من الهمس اثر تأثير التعب الشديد البادي عليه: الحمد لله على كل حال يا بني ...

-ألا تشعر بحال أفضل؟

- لا عليك ... إن نهايتي قريبة لا محالة يجب عليك أن تدرك هذا جيدا ...

نطق زياد بصوت يزاحم به الغصة التي سدت حلقه : لا تقل هذا أرجوك ... ستشفى قريبا لا تقلق ...

- أنا أدرك أن هذا لن يحدث بني إنني تقبلت هذا جيدا و لست قلق بهذا الشأن و لكن ما يقلقني هو أمر آخر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ما هو؟

رد نبيل بصوت يغلبه التردد : إن ما يقلقني هو ذات الشيء الذي دعوتك لأجله اليوم ذلك لأنني أود أن أنام في قبري قرير العين مرتاح البال و ليس هناك أحد يمكنه مساعدتي غيرك ...

- لا تقل هذا يا معلمي تعلم أنه مهما فعلت من أجلك فلن أستطيع رد جزء صغير من فضلك علي

- لكن ما سأطلبه منك قد يغير حياتك كلها لكنه سيجعلني مرتاح في قبري

علت الدهشة معالم وجه زياد الحزين لحال معلمه : مهما يكن فلن أبخل بأي شيء يسعدك فأنت لك الفضل في كل ما انا عليه

نظر نبيل إليه نظرة آسفة و قال له بصعوبة مندمجة مع صعوبة الموقف و صعوبة حالته الصحية معا: هل أنت مستعد للزواج من أجلي؟

اتسعت حدقتا عيني زياد الكبيرتين و هو يجيب بصوت تعلوه الدهشة: زواج؟

- أجل هل يمكن أن تتزوج من ابنتي و الإعتناء بها من بعدي؟

- لكن ...

لم يستطع نبيل مواصلة النظر إلى زياد و هو يستشعر منه الرفض و قبل أن يكمل كلامه استدار بوجهه دون أن ينطق بكلمة ...

حينما رآه زياد على تلك الحال قال له: و لكن يمكنني أن أعتني بها من دون زواج ...

أجابه نبيل من دون أن ينظر إليه : لا يمكن ذلك ... لن يفوتوا فرصة لإيذائها من بعدي و لن أطمئن عليها إلا إذا كانت معك في نفس المنزل لتكون أنت موجود دائما لحمايتها ...

ما الذي يمكن لزياد أن يجيب به في ذلك الموقف البشع الذي وقع فيه؟ طبعا لا يمكنه الرفض و لكن كيف له أن يتزوج و هو في ذلك العمر؟ و كيف سيكون الزواج في تلك الحالة ؟

ما الذي سيفعله ؟؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم يعلم ما يفعله و لذلك اكتفى بأن قال له: اترك لي بعض الوقت لأفكر في الأمر ...

- لو كان بيدي لما اقترحت عليك مثل هذا الاقتراح لكن ضيق الوقت هو ما دفعني لهذا الأمر و انت تعلم جيدا أنه ليس لنا أقارب و أنه للأسف قريبنا الوحيد هو عدونا و لا يمكنني أن أأتمن أحد على ابنتي سواك فأنت تدريب يدي و أعلم أنه لا يمكن لأي إنسان حماية ابنتي بعدي غيرك و إن ا أبيت فإنه لا حول لي ولا قوة ...

نظر زياد إليه نظرة أليمة ...

نظرة جعلته يدرك أن أغلى شخص في حياته يفارقه للأبد و هو لا يملك أي حل له ...

لا يستطيع أن ينقذه من مخالب هذا المرض المتوحش ...

اعتصر قلبه من الألم و سالت من عينيه دمعتين سارع في مسحهما حتى لا يراهما قدوته الذي علمه أنه لا يجب عليه أن يذرف دموعا مهما حصل معه ثم وضع يده على كتف نبيل و قال له بصوت هادئ و حزين: سأفكر في الأمر الليلة و غدا سأجيبك و لكن ثق أنني سأتخذ قرارا يريحك ...

ابتسم نبيل في اطمئنان و هم "زياد" مغادرا و ما إن فتح الباب وجد فتاة في ال 17 من عمرها بدت له غريبة بلباسها الذي ترتديه ...

علم من ملامحها أنها هي نفسها "يقين" التي عليه أن يتزوجها ...

لم يرها قبل كثيرا و كانت عندما رآها اخر مرة فتاة صغيرة و لازلت لم تتجاوز ال13 من عمرها ...

و لكن هذه المرة كانت مختلفة ...

و مختلفة بشكل أثار إزعاج زياد الذي لازال حائرا في ما سيفعله و قد زاد مظهرها ذلك من حيرته ...

كانت ترتدي قميصا طويلا يصل أسفل ساقيها و فضفاضا جدا و تغطي شعرها بحجاب أسود و تقف خافضة رأسها حتى أنها لم تنتبه لوجوده إلا عندما انتهت من مسح دموعها و همت بدخول الغرفة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نظر إليها نظرة غريبة نظرة هي لم تفهمها و لم تبالي بها في نفس الوقت فكل اهتمامها كان مركزا على والدها الذي يقبع في الداخل في حالة يرثى لها ...

اما هو ففي تلك اللحظة قد تمنى في قلبه لو أنها لم تكن موجودة ...

عاد زياد إلى بيته ....

بيته في الساحل

كان مسقط رأسه في الشمال و قد كان من عائلة غنية جدا و كانوا دائما يقضون الصيف في بيتهم الذي يقع في الساحل و هناك قابل زياد نبيل لأول مرة و قد كان ذلك قبل 10 سنوات حينها أصر زياد على البقاء هناك و غادر اهله للشمال و بقي هو في الساحل و اضطر بعد 5 سنوات للمغادرة مجبرا على ذلك ليكمل دراسته قرب والده ليتعلم قواعد العمل في الشركات ...

و لكنه خلال ذلك لم ينقطع عن زيارة نبيل أسبوعيا و خلال تلك السنوات الخمس لم يقابل "يقين" يوما لأنها كانت تكون دائما في المدرسة خلال فترة زيارته ...

ألقى بمفاتيح المنزل و هو يحمل على أكتافه حمل يوم كامل حافل بالأحداث العصيبة ...

كان مرهقا جدا و من دون تردد ارتمى على أول أريكة اعترضته ...

كان جسده متعبا لكن الأفكار تزاحمت في عقله فمنعت عنه النوم ...

لم يكن يرى في تلك الظلمة الحالكة سوى صورة "يقين" بهيئتها المزعجة و يتردد صدى كلمات نبيل لتحاصر رفضه و حججه لتذكره بما مر به خلال 10 سنوات و تلك الحادثة التي حدثت و كيف عامله نبيل خلالها و ماذا كان ليحدث لولا وجود نبيل معه و لازال حائرا فكر في حلول بديلة أخرى لكنه لم يجد ما قد يرضي معلمه فكر كثيرا حتى يئس من التفكير ...

التفت عليه الذكريات و زاد ألمه الحاضر فوضع مخدة الأريكة على رأسه و ضغط بها عليه و كأنه يستطرد كل ذلك من ذهنه متوسلا القليل من النوم ... و لم يدر كم مر من الوقت و نام ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النقطة الثانية:

استيقظ في الصباح على صوت من الخارج لم يعلم مصدره و لكنه علم حينما فتح عينيه أن النهار قد حل ...

نظر في هاتفه فوجد الساعة قد تجاوزت ال 11 فقفز من مكانه فزعا ... كان عليه أن يذهب باكرا لزيارة نبيل ...

أسرع في تبديل ملابسه و غادر فورا ...

حينما وصل كان نبيل يبدو في حالة أتعب من الليلة الماضية و كانت الحمى تبدو عليه شديدة بينما تقوم "يقين" بوضع قطعة قماش مبتلة على جبينه على أمل أن تخف حمته ...

كانت تبدو متعبة يداها ترتعشان و تكاد تقع من هول الحزن و الخوف على حال أبيها ...

تبدو أنها تصارع الدموع كي لا تنساب أمام والدها فتزيد من قلقه ...

وقف زياد بضع لحظات يراقبهم و تعلو عيناه نظرة يائسة آسفة يغزوها ألم كبير ...

ثم أدرك نفسه و تقدم منهم و ألقى التحية ...

ردت عليه "يقين" التحية من دون أن تلتفت بينما كان نبيل ينظر إليه نظرة عامرة بالمعاني و الأسئلة حينها فهم "زياد" ما يجول بخاطره فأمسك يده بين كفيه و ابتسم ابتسامة شاحبة ثم قال له بصوت هادئ حزين : أنا موافق ...

في تلك اللحظة لمعت عينا نبيل فرحا و التفت إلى "يقين" و نظر إليها نظرة غريبة بالنسبة لها و لم تفهم في تلك اللحظة سببها ...

مرت بضع ساعات ...

لم ينطق فيها نبيل ببنة شفة ...

فقد كانت الحمى شديدة و أعيته بشدة ...

عم خلالها الصمت المكان بينما كان "زياد" و "يقين" واقفان يشاهدان حالة "نبيل" في حزن شديد و قد تسارع الممرضون يحاولون تخفيض حرارته ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عندما بدأت الحرارة تنخفض ارتخت قسمات وجه نبيل و بدا أنه ارتاح قليلا ...

عندها طلب من "يقين" أن تتقدم قليلا نحوه ...

تقدمت مسرعة و أمسكت بيديه في حنان و قالت له بصوت رقيق شبيه بالهمس: هل أنت بخير يا أبي؟

ابتسم و لم يجبها بل رد لها السؤال: اخبريني أنتي يا صغيرتي هل انتي بخير؟

أومئت برأسها إيجابا و لم تقدر حينها أن تخفي دموعها أكثر فاستسلمت لها و تركتها تنهمر مبللة كل أطرافها وجهها الصغير ...

عندما رآها على تلك الحال تكلم بصعوبة: لا تبكي يا صغيرتي اذا بقيتي هكذا فإنني لن أغادر و انا مرتاح البال ...

ردت عليه بصوت شملته بحة و غصة شديدة: لا تقل هذا يا أبي أرجوك ... ليس لي سواك إذا تركتني أنت فأين سأذهب؟

- لا تقلقي يا بنيتي الله دائما معك و انا سأغادر و قد تركتك في يد أمينة ...

لم يبدو أن "يقين" قد انتبهت لمغزى كلمات والدها و لكنها أجهشت بالبكاء ... أما "زياد" فكان يراقبهم بصمت يحاول إخفاء عبرات الحزن المتراكمة على قلبه ...

سحب نبيل يده من بين يدي "يقين" و رفعها نحو وجهها و بدأ يمسح لها دموعها و هو يقول: انتبهي جيدا لما سأقوله و أنا واثق جدا من أن ابنتي واعية و ستقدر ما سأقوله و تتفهمه جيدا ...

نظرت إليه "يقين" نظرة سائلة تعلوها الدهشة و لم تجب ... أما هو فقد بدى أنه يستجمع مشاعره ليستطيع إقناع "يقين" بما هو عازم عليه ... قال لها: عديني أنك ستنفذين ما سأطلبه منك فهذه أمنيتي الأخيرة قبل أن أغادر هذه الحياة ...

أحست "يقين" كأن جمرة وقعت على قلبها مع تلك الكلمات المؤلمة و لم تستطع أن ترد الفعل سوى بدموع متبعثرة بشكل هامر كخرير الشلال و هي تومئ برأسها إيجابا مع صوت يكاد أن لا يسمع و هي تقول: أعدك ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابتسم نبيل في ارتياح ثم واصل كلامه : تعلمين أنه ليس لك أقرباء و لا يمكنك أن تبقي وحدك في المنزل و أنتي بحاجة لحماية و لذلك فأنا لن أكون مرتاح إلا إذا تركتك في يد أمينة و لن أجد هذه اليد إلا في تلميذي الذي أثق فيه أكثر من نفسي و هو "زياد" و لذلك فإنكما ستتزوجان لتتمكني من البقاء معه في نفس المنزل ...

قطع أنين حزن "يقين" شهقة صدمة خافتة و هي تقول: م م ماذا؟؟

تراجعت بعدها خطوتين للوراء ...

غير أن نظرة متوسلة علت عينا والدها قد أوقفتها متسمرة في مكانها دون حراك ...

فقال لها: أعلم أنك مازلت صغيرة و لكن صدقيني أن هذا الحل الوحيد ... إن لم يكن من أجلك فليكن من أجلي فأنا أريد أن أطمئن عليك من بعدي لذلك وافقي أرجوك ...

كانت كلماته عامرة بالرجاء ...

رجاء شخص قلق و قليل الحيلة متشبث بأمل بسيط و لم تجد "يقين" وقتا لتفكر و لا سببا لتفكر فما كان عليها إلا أن تقول بصوتها الحزين الباكي :

حسنا يا أبي كما تشاء ...

كان "زياد" ينظر لهما و لا يكاد يصدق ما يحدث ...

اتفقوا بعد ذلك على عقد قرانهما في اليوم التالي تلبية لرغبة "نبيل" بحضور الزفاف ...

أخرجوه من المشفى على كرسي متحرك ...

و نظموا في الغد لحفل صغير لتأدية مراسم عقد القران ...

حفل حزين بحضور نبيل و زياد و يقين مع قلة قليلة من الأصدقاء ...

صديق لنبيل مع زوجته و صديق زياد المفضل المدعو أشرف مع والدته ...

كان من أصعب اللحظات على زياد و يقين هي تلك اللحظة و هما يوقعان على عقد ارتباطهما الغريب ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالنسبة ليقين ماتت أحلامها الصغيرة و باتت أسيرة رجل لا تعرف عنه شيء رجل وجدت نفسها ثقلا على كاهله و هي التي أبت يوما أن تتكئ على أحد غير والدها وجدت نفسها تحت جناح رجل لازالت بعد لا تعرف غير إسمه ...

و بالنسبة لزياد فقد شعر بأن وجود يقين قد قيد حريته و أنه لن يستطيع عيش حياته كالمعتاد و بات يحمل مسؤولية أكبر من عمره و قد وجد نفسه أول من يتزوج من بين أصدقائه و هو الذي كان يرفض فكرة الزواج و يمقتها ...لكنه الآن أصبح متزوجا و كانت هذه ثاني نقطة انتقال في حياة زياد ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النقطة الأولى:

انتهت الحفلة و أوى الجميع إلى فرشهم ...

ما عدا زياد فإنه أمضى ليلته في ملهى يحتسي الخمر حتى ثمل و كان صديقه يواسيه فكان يهذي من الثمالة فمرة يقول: سيتركني و يرحل لا أصدق أنني سأعود وحيدا و لن أجد كتف معلمي كي أرتكز عليه كلما كدت أقع ...

و مرة يقول: لقد زوجني بها و لم أستطع الرفض و الآن أصبحت زوجا لفتاة صغيرة لا أعرفها ... لقد أصبحت أكرهها إنني أكرهها بسببها سأظل أحمل هما ثقيلا على كاهلي طوال حياتي ...

بينما كان صديقه يراقبه من دون كلمة ...

في ذلك الحين كانت "يقين" تبكي و تئن حزنا ...

بكت حتى ابتلت وسادتها ...

أحست بفراغ موحش يملأ كيانها ...

فجأة نهضت من مكانها ...

تذكرت ملجأها كلما ضاق بها الحال ...

فتوضأت و صلت ركعتين ثم تلت بضع آيات و جلست على سجادتها تدعو الله أن يكون معها و يخفف عنها همها و يساعدها في تخطي ما ينتظرها من مصاعب ...

ثم مضت نحو غرفة والدها حيث كان يئن من الألم ...

اقتربت منه سامحة للدموع أن تمر عبر جفونها كما تشاء ...

حملت يده نحو صدرها و ضمتها و هي تقول بصوت خافت: لا تتركني يا أبي أرجوك ...

فتح نبيل عينيه بصعوبة فرأى ابنته على تلك الحال فتكلم بصوت متقطع تغلبه بحة ألم: أنا آسف يا صغيرتي ...

نظرت إليه نظرة رجاء: لا تقل هذا أرجوك

-أنا آسف لأنني أرغمتك على شيء لا تريدينه ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أنا آسف لأنني سأغادر و أتركك وحيدة ...

اطلقت "يقين" آهات حزينة و هي تستمع لكلمات والدها بينما واصل هو الكلام: لم أستطع تركك وحيدة بلا مؤوى ...

أريد لك حياة مريحة بعدي ...

إن زياد أجبر مثلك على هذا الزواج ...

و لكنني أثق في كليكما و أثق أنك ستحسنين التصرف معه لأن ابنتي فتاة واعية و رزينة و تعرف كيف تتصرف ...

لم تجبه و اكتفت بإيماءات إيجابية و هي تصارع نفسها التي تصر على الصراخ من شدة ألم الحزن ...

حل صباح جديد ...

....

صباح أخذ يروي المزيد من حكاية زياد و يقين ...

إذ أنه اليوم هو يوم زفافهما ...

يوم تعيس على كل منهما ...

يوم يقتربون فيه أكثر من لحظة الفراق و يوم يشهد الإرتباط الغير المرغوب ... لم يأبه "زياد" بأي شيء يخص هذا الزواج و كان جل ما يريده و ينتظره هو انقضاء اليوم بسرعة حتى يجد الوقت ليستوعب الحال الذي بات عليها ... أما "يقين" فلم تكن أفضل منه حالا ...

و كل ما يشغلها هو حال والدها الذي يراقب الأمور من بعيد و تعلو وجهه علامات ارتياح ...

انقضى ذلك اليوم العصيب تمر فيه الدقائق ساعات و الساعات دهرا لكنه اخيرا انقضى ...

ارتمى "زياد" على فراشه بجسده المرهق و معنوياته المنخفضة أعلى درجات انخفاضها منذ 10 سنوات ...

لا يصدق أنه أصبح شخصا متزوجا و هو في سن ال 23 ...

لا يستوعب بعد ما معنى ما مر به ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في كل مرة تمر في ذهنه صورة "يقين" بلباسها الفضفاض و حجابها الذي يبدو له غريب ...

تلك الهيئة التي لم يتخيل يوم أنه قد يكون مع فتاة بها ...

لم يفكر يوما في الزواج فكيف قد يتزوج فتاة غريبة بهذا الشكل ...

لم يكن يعلم لماذا لكن شيء ما جعله ينزعج من هيئتها ...

بل إن أكثر ما يزعجه هو فكرة الزواج التي لم يحبذها يوما ...

كان يبغض هذه العلاقة و كان سببها هو والداه ...

عادت به الذكريات إلى ما قبل 10 سنوات ...

تذكر طفولته التعيسة ...

كان مهملا من قبل والديه لم يكن يهتم به أحد حتى النسوة اللاتي يأتين و يجهزن له الطعام و يغسلن له ثيابه لم يكن يهتممن به بل كان أجرهن هو أكثر ما يشغلهن و معهن حق ...

إن لم يهتم الأقرباء به فهل سيهتم الغرباء؟ ...

لم يعلماه شيئا ...

عاش وحيدا ...

لازمه المرض كانت مناعته ضعيفة يمضي أغلب الوقت محموما ... لم يكن له أصدقاء و لا أقرباء من قرنائه ...

كانت ثقته في نفسه معدومة ...

قليل الكلام و لا يستطيع الاعتماد على نفسه في أي شيء ...

كان يكره نفسه و يكره خوفه ...

كان يائسا يسير في درب مظلم تائها لا يبدو أن لهذا الدرب مخرجا و ظل على تلك الحال طيلة 13 سنة ...

لم يكن والداه يدركان تلك المعاناة التي يعانيها ابنهما ...

ركزا كل اهتمامهما فيما يرضي غرورهما ...

فلا يلتقيان إلا ليثيرا مشاكل و ما أن يتفرقا حتى يمضي كل منهما في دربه بأنانية لا مثيل لها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلم يشبع مراد من المال و لم تمل ليليا من الشهرة ...

حيث كان مراد صاحب لأضخم الشركات العقارية في البلاد بينما تمثل ليليا أشهر عارضات الأزياء فيها ...

و قد كانت تعتبر وجود زياد في حياتها هو غلطة ما كان يجب حدوثها لأنها كادت أن تودي بلياقتها و رشاقتها فتفقدها سلاحها الفتاك لتمارس شهرتها فأمضت بعد ولادته أشهرا تمارس حمية قاسية و رياضة يومية منهكة لكي تستعيد ليون جسدها الفاتن ...

و ما كان منها إلا أن ألقت بزياد في أيدي مربيات جعلن القوة و الضرب هو السبيل الوحيد في التعامل معه...

و لم يعرف في حياته سوى الخوف ...

الخوف من كل شيء و من كل الناس ...

من الكبير و الصغير و حتى من صغار القطط ...

تتهاطل دموعه على الدوام ...

تستنجد روحه لمساعدة ...

ليد تمتد لتخرجه من حياته البائسة لتعلمه كيف يقتحم العالم و يتخذ لنفسه مكانا فيه ...

و لكن من له في هذا العالم ليسمع مابه؟؟ ...

كان يائسا من كل شيء محبطا و لا يعرف للسعادة طعما رغم أنه لم يتجاوز ال13 من عمره ...

و ظل على تلك الحال إلى أن جاء ذلك الصيف الذي تغيرت فيه حياة زياد 360 درجة ...

كعادتهم ذهبوا ليقضوا ذلك الصيف في الساحل ...

و كعادة زياد لم يكن يخرج من المنزل وحده ...

لكن كان مقدرا أن يخرج مع والديه لأول مرة لسهرة في أحد المطاعم بدعوة من أحد أصدقاء مراد و قد كان من الواجب حضور العائلة كلهم و من بينهم الابن ...

مرت تلك السهرة كما هو متوقع لها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كعادة ليليا و مراد مشاجرات و لمزات و عناد بينما يجلس زياد بينهما بأطرافه المرتعشة ...

تتسابق نبضات قلبه الخائفة من كل تلك الوجوه الغريبة التي تشاهدها عيناه الدامعة ...

و بشكل واضح بدا كل ذلك على تعابير زياد ...

مما أخجل ليليا من وجود ابنها معها ...

و لكي تتدارك الموقف قامت من مكانها و أمسكت بيده ثم قادته خارج المطعم و طلبت منه أن ينتظر هناك ...

و عادت لتكمل سهرتها بعد أن ادعت أنه قد شعر بالنعاس فتركته لينام في السيارة ...

و ما كان سيئا لو أنها فعلت ذلك حقا لكنها كانت قد تركته خارج المطعم جالسا قرب نافورة يحيط بها بعض الأشخاص الذين ضاعف وجودهم الرعب في قلب زياد ...

و ما كان منه إلا أن جلس متكئا على حافة النافورة يضم ركبتيه إلى صدره و كأنه يجمع شتات روحه المتلاشية من هول الرعب الذي يعيشه في تلك اللحظات ...

ثم ماذا؟ ...

ثم إن السهرة قد انتهت و قد استمعت ليليا كثيرا بصحبة زوجة صديق زوجها و انشغل مراد بمغامراتها البطولية في عالم التجارة و إدارة الأعمال و سلكوا طريق العودة إلى منزلهم تاركين زياد وحيدا حيث كان ...

أجل لقد نسي الوالدان ولدهما ...

لا عجب فلم يتعودا بعد بوجوده بينهم ...

انسحب الجميع لبيوتهم طالبين ساعات النوم و الراحة و عم المكان سكون شامل إلا من صوت خرير ماء النافورة ...

رفع زياد رأسه ليجد نفسه في مكان خال من الحياة ...

و تضاعف الرعب في قلبه أضعافا كثيرة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انطلق مسرعا كالمجنون يتعثر في خطواته و يجوب الشوارع ذهابا و إيابا و قلبه يكاد يتوقف من هول الخوف ...

لم يكن يدري أين يذهب و لا ماذا يفعل ؟

....

كان الرجل ذو ال 40 سنة يسير عائدا إلى المنزل في هدوئه المعتاد تعلو قسمات وجهه شجاعة و ارتياح و كأنه خرج منتصرا من أحد الحروب ... لاح له صوت أنين غريب ...

صوت تغلب عليه لهث و أنفاس متسارعة ...

رفع عينيه و بدأ يحركهما في كل الاتجاهات نحو الأزقة المظلمة ثم بدأ يبحث عن مصدر الصوت في هدوء ...

كان زياد يجلس تحت حائط اتخذه مجلسا بعد أن وجد نورا كثيرا مسلطا عليه و هو كان شديد الخوف من الظلام ...

يحمل ركبتيه إلى صدره و يبكي كفتاة صغيرة فقدت والديها ... فجأة أحس بحثيث خطى يقترب منه ...

رفع رأسه فزعا فلاح له ظلا ضخما يقترب منه

تسمرت أطرافه و لم يستطع حتى الهرب ...

و الظل لازال يقترب منه إلى أن ظهر له جسد رجل كهل يقترب منه في هدوء ...

في تلك اللحظة فقد زياد حتى صوته و بات عسيرا عليه جذب شهيق أو إخراج زفير و كادت تنقطع أنفاسه ...

اقترب نبيل من زياد شيئا فشيئا حتى بات أمامه مباشرة ...

جلس على ركبته و قابله بنظراته السائلة قائلا: ماذا تفعل هنا؟ و ما بك تبكي كطفلة صغيرة و أنت تكاد تصبح شابا ؟

لم يجبه زياد ...

اندهش نبيل من منظر زياد الغريب ...

أين تسكن؟ -

.... -

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- ما الأمر؟

- ....

- تكلم أخبرني من أنت؟ و أين تسكن حتى أستطيع إعادتك إلى منزلك

- ....

نفخ نبيل نفخة خفيفة تعبر عن موقف انزعاج من حالة هذا الطفل المزرية ...

أمسك يده برفق ثم جلس بجانبه و أخذ يربت على كتفه بحنان ...

في تلك اللحظة أحس زياد ببعض الأمان ...

لم يدري ما مصدره ...

لكن شيئا ما بداخله دفعه للهدوء ...

و أحس بشعور لم يحس به قبل حتى بقرب والديه ...

انقضت ساعة و هم على تلك الحال ...

لم يتكلم نبيل أيه كلمة و ظل يراقب زياد في صمت منتظرا منه أية مبادرة بالكلام ...

لكن زياد لم يتكلم و لكن بدا عليه بعض الارتياح ..

لذلك بادره نبيل بالسؤال مرة أخرى: ما بك؟

و عندما لم يجبه من الوهلة الأولى شعر أنه لا جدوى من مواصلة الكلام ...

لكن زياد سكت للحظات ثم تكلم بصوت منقطع: أنا خائف ...

ثم أخذ يبكي ...

حينها امتدت يد نبيل نحو دموعه و قال له: امسح دموعك يا رجل ...

فالرجال لا يبكون بهذه الطريقة ...

يجب عليك أن تكون شجاعا لا شيء يستحق الخوف منه ...

رفع زياد رأسه في خجل و قال بصوت ضعيف: لا أستطيع ...

- مما أنت خائف؟

- خائف من كل شيء ...

شعر نبيل بالأسى لحال هذا الولد و لحياته التي ستضيع منه إن ظل على هذه الحال ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و قرر في ذلك الوقت أن يخرجه من حالته بأي طريقة و مهما كلفه الأمر ...

وقف نبيل و جذب زياد بيده بقوة حتى أوقفه أمامه مباشرة ثم وضع يديه على كتفيه و ضغط عليهم قليلا و قال له بصوت يشوبه الحزم و الثبات: لا يجب أن تبقى هكذا ...

يجب أن تنقذ نفسك من هذه الحال ...

تعال معي سأعلمك كل شيء ...

أعدك أن تتغير حالك للأفضل ...

ثم مد له يده و قال بصوت مرتفع قليلا: أمسك بيدي و سأخرجك من هذه الحياة البائسة ...

ظل زياد ينظر له مندهشا و حائرا للحظات كثيرة ...

و ببطء شديد مد يده المرتعشة نحو يد نبيل و وضعها دون أن يشدها ...

لكن نبيل شدها بقوة و قال له بإبتسامة عريضة: هيا بنا ...

لأول مرة كانت في حياة زياد أن يقرر أمرا متجاهلا خوفه و صوت العتب ...

نام في تلك الليلة في بيت نبيل ...

عندما استيقظ في الصباح كان أول شيء يراه هو وجه فتاة صغيرة في عمر ال 7سنوات تنظر إليه بقسمات دهشة بريئة ...

لم يكن بعد قد استوعب ما حدث البارحة و لم يتذكره بعد ...

لحظات قصيرة مرت يحدقان في بعضهما بين نظراتها البريئة و نظراته الغريبة الحائرة ...

عندما أدرك كل ذكريات الليلة الماضية انتفض فزعا بقوة مما جعل "يقين" الصغيرة ترتعب من الخوف و تطلق صرخات بكاء أحرجت زياد و جعلته يقف حائرا لا يدري كيف يتصرف ...

عندها دخل نبيل مسرعا و هو يتساءل: ما الأمر؟ ما الذي حدث؟

ارتمت "يقين" في حضن والدها بينما ظل زياد واقفا خافضا رأسه في حيرة و خجل ...

نظر إليه و نبيل ثم حمل يقين و تقدم نحوه و ابتسم

هل نمت جيدا البارحة -

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أومئ زياد برأسه إيجابا و لازال خافضا رأسه حتى قال له: يجب عليك أن تظل مرفوع الرأس دائما فمن سمات الرجل أن يواجه كل حدث يحدث معه بشجاعة و لا يخفض رأسه أمام الضروف أبدا ...

رفع زياد رأسه و ابتسم ابتسامة تحمل معها معاني كثيرة بين الشكر و الامتنان و التوق للمزيد ...

قال نبيل: الآن سآخذك إلى منزلك لابد أن أهلك قلقين عليك ثم سنتفق عن أوقات نلتقي فيها حتى ننجز ما اتفقنا عليه ...

بدا بعض الانزعاج على وجه زياد لكنه تقدم موافقا على كلام نبيل ...

و منذ ذلك اليوم بدأ زياد يتعلم كل شيء من نبيل ...

علمه كيف يقاتل و كيف يدافع عن نفسه حتى علمه كيف يغلب خوفه ... و جعله لأيام يزاول الظلام حتى تغلب على خوفه منه ...

و جعله يقاتل مجموعة من الأطفال في منافسة لأيام حتى تمكن من هزيمتهم ...

عندما انتهى الصيف و هم العائلة بمغادرة الساحل ...

تحدى زياد عائلته لأول مرة بعيون ثاقبة و وقفة ثابتة و كلمات واثقة و أبى أن يعود معهم ...

و قد اندهش الجميع لموقفة الغريب لأول مرة ...

لكن والده شعر براحة لهذا التغيير فما كان منه إلا أن وافق و سجله في مدرسة هناك و ظل مع نبيل يتعلم منه المزيد و المزيد حتى أصبح يخشاه الجميع ...

و أصبح يلقبه بعض معارفه بلقب "ليون" أي الأسد ...

لأن عينيه كانت تشع شجاعة و قوة مع شدة سواد البؤبؤ فإن بعض من يراها يشعر بالخوف و ينسحب فورا من المواجهة معه ...

عاش بعدها زياد حياة رغيدة و مريحة ...

تغيرت حياته كما وعده نبيل ...

و كان سعيدا جدا بهذا التغيير و حمل في قلبه امتنانا أبديا لهذا الشخص الذي يناديه "معلمي" ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

معلمه الذي علمه كيف يعيش و اهتم به و هو غريب تركه أقاربه بلا أي اهتمام ...

و كانت تلك أول نقطة انتقال في حياة زياد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البداية

فتح عينيه بعدما عاد ليعيش تلك الذكريات القديمة في مخيلته كأنها حدثت بالأمس...

لتعزز في نفسه تلك الأفكار شعور الامتنان و يجد أنه لا سبيل للرفض و لا سبيل للرجوع و أنه عليه أن يفي بوعده و يرد جزء صغير من فضل معلمه عليه...

كان قد حل الصباح ...

ذهب من فوره ليزور نبيل الذي تركه مريضا و ترك "يقين" تعتني به ...

فتحت له "يقين" الباب و لم تكلمه أيه كلمة ...

كان يبدو التعب باد على ملامحها و لا يبدو أن الإثنان يرغبان في مبادلة أيه حديث ...

مرت أيام قليلة ...

و رحل نبيل ..

. رحل و كانت آخر كلمات وجهها لزياد ...

"أنا آسف يا بني ... آسف لأنني أرغمتك على شيء لا تريده ... لكن أرجوك أعتني بها ... إنها أمانة عندك اعتني بها جيدا" ...

و خرجت روحه لتأسر روح يقين في حزن أليم و تشد روح زياد صدمة شديدة ...

أمضيا 3 أيام في بيت نبيل حيث تمت بقية مراسم جنازة نبيل ...

كانت "يقين" خلال تلك الأيام منهارة جدا و يقف بجانبها "زياد" حزين دون أي حركة مواساة لها ...

لأول مرة أسف على حالها و لكنه لم يستطع مواساة نفسه فكيف سيواسيها ...

بعد ذلك جاءت شاحنة و قامت بنقل جميع أغراض "يقين" إلى بيت زياد ...

كانت يقين تراقب ما يحدث بألم مرير ...

فلم يكفي أنها فقدت ما بقي لها من عائلتها و هي الآن ستغادر البيت الذي يحمل جميع ذكرياتها معهم ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في المساء ذهبت "يقين" مع "زياد" إلى مسكنها الجيد ...

كان الإثنان صامتان طول الطريق ...

غير أن "زياد" بدا عليه إنزعاج شديد بينما كانت "يقين" لا تزال أسيرة الحزن و لم تجف بعد عيناها من بقية الدموع ...

عندما وصلا ... تكلم "زياد" بصوت هادئ أول كلمات يبادر بها مع "يقين" و قال:

- سأريك غرفتك يمكنك أن تغيريها كما تشائين و تصرفي فيها بحسب حريتك

أومأت "يقين" برأسها إيجابا ...

قادها نحو غرفة واسعة و تبدو مريحة و لها إطلالة جميلة و قال لها: هذه غرفتك من اليوم فصاعدا بها حمام خاص المطبخ في الركن المقابل إذا أردت شيئا فكل شيء متوفر ...

تكلمت بصوت شبيه الهمس: شكرا لك ...

نظر إليها نظرة غريبة تحمل بين طياتها إنزعاجا محمولا بقلة الحيلة ثم قال لها بعد أن نفخ نفخة صغيرة: صحيح أننا متزوجان لكن كل واحد منا حر في تصرفاته و أنتي لا يحق لك أن تحاسبيني على أي شيء قد أقوم به و على هذا فلنتفق منذ الآن ...

و لنتفق أن هذا الزواج لن يدوم إلى الأبد و أنتي إذا وجدت الشخص المناسب و الذي بإمكانه تعويض دوري في حمايتك فإنني لن أمانع في الانفصال عنك و تركك تتزوجين به و لكن هذا لن يحدث إلا بعد أن تكملي دراستك ...

بالنسبة لزياد كانت هذه الكلمات عادية و لا تشوبها شائبة أما "يقين" فقد انزعجت بشدة مما قاله ليس لشيء و إنما قد أحست أن كل كلمت كانت تخدش كرامتها بقوة لدرجة أحست فيها أن كمية كبيرة من الهواء قد انحبست في صدرها و هي تحاول كتمان دموع التحسر والألم كي لا تنزل أمامه ...

لم تكن بعد قد قررت القيام بأية ردت فعل إلى أن واصل "زياد" كلماته بصوت أضيف عليه شيء من الاشمئزاز الغريب و هو ينظر إلى هيئتها من أعلى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رأسها إلى أسفل قدمها : بالنسبة لهذه الهيئة فمن المستحسن لك أن تغيريها فهي تجلب الريبة و قد تسبب لنا مشاكل لسنا في غنى عنها ...

في تلك اللحظة فاض الكأس و رفعت "يقين" عينيها العسلية الدامعة بنظرة قوية حازمة غاضبة و قالت له بصوت طبيعي سيطرت فيه قدر الإمكان على رغبتها الجامحة في الصراخ: قلتها بنفسك ... كل واحد منا حر في تصرفاته ... لذلك لا يمكنك أن تقرر عني كيف تكون هيئتي و سأظل على هذه الهيئة لو كلفني الأمر حياتي و إن كان هذا يسبب لك مشاكل فاتركني أموت و لا تتصرف ...

سكتت قليلا ثم واصلت بصوت مختنق و هامس: اذا هذا ما يزعجك فليس بيدي حيلة و لكنني أعدك أنني لن أزعجك بشيء آخر ...

و لازال "زياد" واقفا تعلو قسماته صدمة شديدة من ردة فعلها الغريبة و لازال لوقتها لا يدرك سببها حقا ...

و مع ذلك فإنه أجابها بصوت خافت صوت شخص تراجع عن شيء مما قاله : كما تشائين ...

مسحت "يقين" بضعا من قطرات الدموع على وجهها و اتجهت نحو الغرفة و هي تقول "اعذرني الآن أنا متعبة و سأرتاح قليلا"

ما إن حل الليل غادر "زياد" البيت و ترك "يقين" وحيدة في المنزل ...

اتجه مباشرة للبار ليمضي سهراته المعتادة ..

بين الشرب و المتعة ...

كان جالسا على أحد المقاعد وسط ضجة الموسيقى و صراخ السكارى ...

ضجة كبيرة لم تكن أقوى من ضجة الأفكار في داخله ...

أسير كل ما حدث معه منذ التقائه بنبيل إلى يوم زواجه ب "يقين" فكرة وجود فتاة في منزله مرتبطة به بشكل مزعج يمنعه حتى من انكار وجودها هذه الفكرة تشوشه و تجعله غائبا عن الإدراك ...

حينما أتى صديقه أشرف ...

صافحه ضاربا يده على يده عن بعد ...

و هو يقول بحماس:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-كيف حال العريس ...

نظر إليه "زياد" نظرة ساخطة و قال له بصوت غاضب: عن أي عريس تتكلم ...

ضحك أشرف ضحكة يحاول بها استفزاز زياد : لا أظن أن هناك في المكان عريس غيرك ...

فشل أشرف في استفزاز زياد الذي كان حقيقة مرهقا و عاجزا عن أي نقاش:

-العاقبة لك يا صديقي ...

تنهد أشرف و قال له : ماذا ستفعل بشأنها؟

-من؟

-شيماء

اتسعت حدقتا عيني زياد و هو يتذكر الحسناء التي تم ذكر اسمها الآن ... شيماء فاتنة الجمال ...

أنثى بمعنى الكلمات ...

جسدها مثير و لباسها بديعة و أناقتها تأسر جميع القلوب ...

جمال روسي لفتاة من أم روسية ...

ثم أجابه:

-ما بها؟

-لقد عادت من روسيا

اندهش زياد و قال: ماذا؟ متى؟ و لماذا لم تخبرني؟ ليس من عادتها أن لا تتصل بي ...

-بل اتصلت بك كثيرا لكنك كنت منشغلا بما حدث مع نبيل و بزواجك و لم ترد عليها ...

قال زياد منزعجا: توقف عن التحدث عن الزواج ... يجب أن لا تعلم شيماء بما حدث هل فهمتني؟ إياك أن تخبرها ...

تعجب أشرف من ردة فعله و قال له: حسنا حسنا هدئ من روعك و لا تقلق لن أخبرها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

-هل تعلم أين يمكن أن تكون؟

-لقد التقيت بها بالأمس أخبرتني أنها حجزت في أحد الفنادق هنا و هي منشغلة ببعض الأعمال ثم ستأتي إليك ...

-هل تعلم أي فندق؟

-أجل ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخيانة

انطلق "زياد" مسرعا نحو الفندق الذي أخبره عنه أشرف ...

سأل عنها و سار مسرعا نحو الغرفة التي أخبروه عنها ...

رن جرس الغرفة ...

فتحت "شيماء" الباب و تفاجأت بوجود "زياد" هناك ...

و لكنها لم تكن أشد تعجبا من زياد الذي وقف منبهرا بجمالها و هي ترتدي ذلك الفستان القصير بلون ممزوج بين الزهري و الأبيض تنساب خصلات شعرها الأشقر و يغزو اللمعان زرقة عينيها و بياض وجهها الملائكي ...

في تلك اللحظة تذكر "يقين" و تذكر الفرق بينهما ...

كيف تكون فتاة صغيرة بسيطة و بهيئة غريبة حائلا بينه و بين هذه الحسناء التي وهبته كل شيء ..

. لم تكمل كلمتها المتسائلة و هي تقول : زيـــــ ...!!! ...

و ارتمى عليها يحضنها بشوق ...

في ذلك الوقت ...

كانت "يقين" تصارع حزنها على فراق والدها و وحدتها بتلاوة آيات القرآن و الصلاة ...

فتحس بالأمان بوقوفها بين يدي ربها و تدعوه أياما سعيدة في الأيام القادمة ...

بعد ساعات من المتعة و اللقاء الحميمي بين زياد و شيماء ...

تذكر زياد "يقين" و وعده لنبيل بحمايتها ...

فاعتذر من "شيماء" و غادر ...

عندما وصل كانت الأضواء لازالت مشتعلة ...

علم أن "يقين" لازلت مستيقظة و كان الوقت متأخرا لم تستطع "يقين" النوم في ذلك الوقت خوفا من البقاء وحيدة ...

ما إن أحست بقدومه حتى اطمئن بالها و نامت ...

فتح عينيه و كان الوقت نهارا ...

نظر في الساعة فإذا بها الساعة 11 صباحا ....

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لاح له صوت غريب خارج الغرفة لم يميزه ...

نهض يمشي مترنحا و فتح الباب اعترضته رائحة زكية ...

أخذ يمشي بهدوء في البيت ...

كل شيء نظيف البيت يبدو أكثر بهجة ...

رائحة العنبر تلف المكان ...

نسمات منعشة تتخلله و تداعب الروح و كأنها تلقي عليه تحية صباحية ...

و أما الصوت فكان صوتا لتراتيل القرآن بصوت الشيخ "ماهر المعيقلي" ...

أحس بشعور غريب ...

شيء ثقيل على قلبه ...

تمنى في تلك اللحظة لو يطفئ ذلك التسجيل لكنه لم يمتلك الجرأة على ذلك ...

سار بهدوء نحو المطبخ ...

هناك تفاجأ بتلك الفتاة ...

فتاة ذات شعر بني غامق و طويل رطب و متموج بشكل جميل ...

ترتدي بنطلونا قماشي أسود اللون و قميص زهري طويل قليلا فوق ركبتيها على جسد صغير و قامة متوسطة و كانت تلتفت للجهة المقابلة و لم يستطع رؤية وجهها ...

اقترب منها قليلا مندهشا و قال لها: من انتي؟

التفتت إليه بقسمات تعجب و ما لبثت أن تغيرت إلى ابتسامة لطيفة و قالت : صباح الخير ...

لم يجبها بل كان في حالة صدمة شديدة ...

الشبه كبير ... نفس العينين العسلية لكنها ليست دامعة كما عهدها على الدوام هل حقا هي؟؟

هل هذه "يقين" ؟

هل هذه زوجته ذات الهيئة الغريبة؟؟

أجل إنها هي ...

هذا هو صوتها و تلك هي نظرتها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخرجه من أفكاره صوتها و هي تقول: أنا آسفة أخبرني ماذا تحب أن تأكل على الفطور و سأجهزه لك بسرعة ...

لم يعلم كيف يتصرف ...

فاكتفى بجواب صغير غايته منه الهروب من ذلك الموقف : قهوة

اتسعت ابتسامتها و قالت بلطف : حسنا ...

أما هو فغادر المكان متجها بسرعة نحو الحمام ...

و لازالت صورتها في ذهنه عالقة مع دهشة شديدة ...

ثم عاد بعد ذلك نحو المطبخ مباشرة ...

كانت رائحة القهوة شهية جدا ...

وضعتها له مع بضعة قطع من البسكويت التي تبدو صنع يدوي ماهر ...

كان لا يزال مندهشا لكنه تدارك نفسه و قال بصوت هادئ: شكرا لك ...

ابتسمت و قالت : عفوا

لم يكن ينظر نحوها اما هي فكانت تقوم بتصفيف أدوات المطبخ بشكل منظم و منشغلة بذلك عنه ...

سكت قليلا ثم قال: لستي مرغمة على فعل كل هذا ...

سأحضر خادمة تقوم بكل شيء

اجابته و هي لا تزال تعمل: أنا أحب القيام بهذه الأمور إذا لم يكن لديك مانع ...

-ليس هذا السبب و لكن هذا الأمر قد يعطلك عن دراستك ...

استدارت نحوه بعد أن أطرقت قليلا تفكر بقسمات بريئة لم يلحظها زياد ثم قالت: حسنا احضر خادمة عندما يكون هناك أعمال كثيرة اما بقية الأيام فانا احب أن أعتني بالبيت بنفسي لو سمحت

-حسنا كما تشائين ...

ثم التفت إليها ليجد نفسه مرة اخرى متعجبا من مظهرها ...

و في نفسه سؤالا تمنى لو يوجهه لها و لكن شيء ما بداخله منعه من ذلك ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أخذ يرتشف القهوة و يجعل من كل رشفة مانعا للكلمات التي تجول خاطره
من العبور عبر شفتيه ...
لم يكن يريد أن يفتح معها أي حديث ...
فقط يريد أن تظل علاقتهما كما هي الآن ...
أنهى قهوته و غادر فورا ...
كانت وجهته شيماء التي تنتظره في الفندق ...
-صباح الخير
ردت بضحكة يغلبها الدلال و الأنوثة: صباح الحب
ضحك لها ثم دخل ...
و مضت ساعات و هو يتنعم بجمال شيماء متناسيا وجود "يقين" بالكامل ...
مرت أشهر و هو على تلك الحال ...

الخطر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتهت إجازته و عاد للعمل بعد أن قام بعقد شراكة مع أحد الشركات في الساحل و تبادل الأماكن هو و شريكه الذي حل مكانه في الشمال و بقي هو ليعمل في الساحل ....

لعدة أسباب ...

منها أنه أولا يتجنب الالتقاء بوالدته التي أصبح يكن لها حقد أكبر من الماضي ثم أنه يحب أن يبقى قريبا من قبر معلمه و الذي يزوره في كل مرة أسبوعيا و في كل مرة يعبر له عن حيرته في أمره و عن تصرفه بوجود يقين و يسأله إن كان يحق له أن يفعل ما كان يفعله دائما من خيانة و استمتاع بحياته كما السابق رغم أنه أصبح متزوجا و كيف عليه أن يتصرف ... يبوح بكل ذلك في كل مرة ثم يعود بلا أجوبة ليجد نفسه يقوم بنفس الأشياء دائما و لكنه رغم رغبته في كل ذلك لم يكن مرتاحا كما قبل ...

مرت تلك الأشهر

و لازال ذلك السؤال في ذهن "زياد" يحاول طرحه في كل صباح يقابل فيها "يقين" بتلك الهيئة الجديدة ...

و كيف كانت تمضي إلى الدراسة بنفس الهيئة القديمة ...

في صباح أحد الأيام خرجت "يقين" كالعادة في منامتها المتمثلة في بنطلونا أبيض و قميص زهري و شعرها البني الجميل مربوط برباط و ينسدل إلى أسفل ظهرها و بدأت تقوم بما تحب القيام به و تطرب قلبها بأصوات التراتيل في الصباح ...

كان ذلك اليوم عطلة ...

و الساعة تقارب ال 11 صباحا ...

نهض "زياد" ثم اتجه للمطبخ ليتناول الإفطار ...

حينما رأته "يقين" ألقت عليه التحية و شرعت تعد له القهوة بينما يقوم هو بتجنب النظر إليه ...

اتجه مباشرة نحو الثلاجة و أخرج منها مربى و ذهب نحو الطاولة و بدأ يأكل ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحضرت له "يقين" قهوته و كانت تحمل في يدها كأسا آخر أخذته و جلست في الجهة المقابلة للطاولة الكبيرة التي كان يجلس بها "زياد" ...

لم يتكلم أي منهما في البداية ...

كان الهدوء يعلو قسمات وجه "يقين" بعكس الارتباك الذي يطغو على "زياد" و يحاول إخفاءه برشفات القهوة المتتالية ...

انتهت السورة المسجلة و سكت صوت التراتيل ...

شعر حينها "زياد" ببعض الهدوء ..

. و بعد صمت قليل بادر بسؤالها: كيف حال الدراسة ...؟؟

من دون أن تنظر إليه أجابت : جيدة ... كيف حال العمل

-جيد أيضا

همهم قليلا ثم قال بصوت متقطع : تبدين مختلفة

نظرت إليه نظرة سائلة و قالت: ماذا تقصد؟

-أقصد هيئتك تغيرت منذ طلبت منك تغييرها ...

أجابته مخفية انزعاجها من موقفه تجاه هيئتها و بنفس الهدوء : أنا لم أغيرها

- كيف ذلك؟

- طبيعي أنني في المنزل سألبس ملابس كهذه أما عندما أخرج سأكون بهيئتي التي أحبها

لم يفهم قصدها من كلمة "أحبها" لكنه واصل متسائلا: ما الفرق؟

- الفرق أنك شرعا و قانونا زوجي أي يمكنني أن أنزع حجابي في المنزل أما خارجا فلا يمكن هذا

لم يدري زياد لما شعر بالحرج خاصة أن الفتاة التي تجلس أمامه تتحدث بثقة غير مزعزعة و لو قليلا ...

فقال لها : لست أفهم أي فلسفة تستعملين في حياتك فأنتي غريبة جدا ... كيف تتحملين إخفاء نفسك بتلك الطريقة و تخفين جمالك الذي سيعجب الجميع إن رأوه ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أجابته "يقين" بانزعاج محمول باندهاش: بغض النظر عن الظروف التي تزوجنا فيها و عن أن هذا الزواج لن يستمر إلى الأبد لكن الآن و حاليا اسمي مرتبط باسمك فهل ترضى أن أكون فريسة للعيون حتى تتفرس فيا كما تشاء و تفكر فيا كيف تشاء ...

-أنا لم أقل هذا ... فكل شي بحدود

-أجل صحيح و بالنسبة لي هذه حدودي و لا يمكنني تجاوزها ...

شعر "زياد" بغضب شديد من إجابتها ...

كان يفكر أنه لو أقنعها بترك تلك الهيئة فإنه سيمكنه أخذها معه في سهراته حتى يضمن وفاءه بوعده لنبيل و لا يحرم نفسه من عاداته في آن واحد ...

لكن عنادها أزعجه بشدة فغادر المكان غاضبا ...

بينما ضلت هي تحدق في الباب الذي خرج منه بارتباك تحاول فيه تجميع شتات مشاعرها مع أفكارها ...

حتى هدأت من روعها و نهضت تواصل العمل في المنزل ...

مر النهار و جاء الليل و"زياد" يقضي وقته مع شيماء ككل مرة من مواعيد الغداء إلى التجوال في الأماكن الجميلة ثم السهر في البار انتهاء بغرفة الفندق ...

ثم في وقت متأخر عند الساعة ال 02 صباحا قرر العودة ...

كان قد استيقظ من حاله سكره لكنه لازال تحت تأثير قليل له ...

عندما وصل لم يكن البيت كما تركه ...

كل شيء يدعو للريبة بل للخوف أيضا ...

شيئا فشيئا بدأ يستوعب ...

لم يكن الأمر عاديا ...

الباب مفتوح ...

كل شيء في فوضى ...

بعض المعدات منكسرة ...

أبواب الغرف منكسرة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ركض في سرعة هائلة و قد تملكه الهول ...

ارتعب بشدة لفكرة ما قد يحدث ل "يقين" في غيابه ...

أسرع يركض كالمجنون يدخل جميع الغرف الواحدة تلو الأخرى يدور برأسه جميع أركانها في هول كبير ...

بحث عنها في كل الغرف و كانت نبضات قلبه المتسارعة تمنعه حتى من نطق أي كلمة ...

لم يكن هناك أي أثر لها ...

حتى في غرفتها ...

شعر بيأس شديد ...

تذكر وعده لنبيل و كل كلمة قالها له معلمه تذكر إلحاح نبيل الشديد و هو يرجوه حمايتها ...

خيبة شديدة ...

خذلان ...

خذل نفسه عندما خان العهد خذل نبيل الذي وثق به ...

ما الذي سيفعله ؟؟ ...

أي سيجدها؟؟ ...

ماذا حدث لها؟؟ ...

هل لازالت على قيد الحياة؟؟ ...

لا مستحيل فهم ينتظرون الفرصة ليمسكوا بها و لن يتركوا مجالا لمن يحاول إنقاذها...

كان يقف في الممر الذي يجمع بين الغرف ...

يلهث بقوة و تكاد دقات قلبه تصدر صوتا يسمعه من في الخارج ...

بالكاد يبتلع ريقه ...

بالكاد يستجمع الحروف و يحرك شفتاه لينطق بذلك الاسم لأول مرة في حياته ...

و يصرخ صرخة هائلة تحمل كل موجة الخوف و الفرع التي تجتاحه :

"يقيـــــــــــــــــــن"

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و اشتدت الموجة و تعالى صراخه أكثر فأكثر ...

و ضج المكان بصوته المنادي و انهمرت منه الكلمات بسرعة كبيرة : يقين ... يقين ... أين أنتي ؟ أرجوكي أجيبيني ...يقي

فجأة أوقفه صوت لأول مرة يسعد بسماعه ...

صوت سعال قريب لكنه خافت ...

انطلق بسرعة يبحث عن مصدر الصوت ...

ذلك الصوت الذي أصبح أنين بكاء خافت ...

ظل يبحث بلا تفكير ...

ثم توقف يستطلع مكان الصوت ...

كان في المطبخ ...

دخل المطبخ لم يجد شيئا و كان قد بحث فيه قبل و لم يجدها ...

من أين يأتي الصوت ...

بدأ يبحث في هول شديد ...

ثم يقف مرة أخرى يتنصت المكان ...

فتح كل الدرج الكبيرة التي تسع إنسان ...

إلى أن أخيرا وجد ضالته و أستعاد أنفاسه و هدأ قليلا ...

كان الدرج كبيرا كالخزانة ...

يعلوه درج آخر مثله ...

كانت "يقين" تختبئ فيه و الرعب تملك قلبها و جعل جسدها يرتجف بشدة ... و عندما سمعت صراخ "زياد" كان مغمى عليها من شدة الخوف و نقص الأكسيجين في المكان ...

لكنها غالبت نفسها و فتحت عينيها و جعلت تسعل لتدله عليها ...

شعرت بأطراف نور تداعب بؤبؤ عينيها و نسمات خفيفة تلامس أطراف وجهها ...

ارتجفت من الخوف و فزعت غير أن الصوت أوقفها ليتسلل مع كلماته بعض الأمان: يقين هذا انا زياد ... لا تخافي ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أطل من وراء باب الدرج و كان قد جلس على ركبته بوجه مصفر تعلو جبينه قطرات عرق جراء الفزع الذي عاناه...

ما إن لمحت "يقين" وجه زياد و تأكدت من أن الكابوس قد انتهى لم تتمالك نفسها و ارتمت في حضنه في انفعال شديد تبكي بحرقة كبيرة و كل طرف من جسدها يرتعش بشدة ...

في البداية تفاجأ "زياد" من رده فعلها لكنه تفهم شدة خوفها و ليزيد من اطمئنانها و حتى يخفف انفعالها التف بذراعه على ظهرها و ضغط عليها بينما جعل يمسح بيده الأخرى على شعرها و يحاول تهدئة روعها و هو يقول بلطف و هدوء: اهدئي ... كل شيء بخير ... أنا هنا معك

كانت تبكي و ترتجف ...

تخفي وجهها في صدره و تقول بصوت مختنق: أنا خائفة ... إنهم مخيفون ...

- اهدئي أرجوك ... لا تخافي أنا معك

ظلت يقين تبكي في حضنه لدقائق بينما ظل هو صامت يلوم نفسه على تركها وحيدة و في نفس الوقت يحمد الله أنها لم تصب بأي أذى و إلا فإنه لن يسامح نفسه طيلة حياته ...

خلال ذلك أدرك نفسه على ذلك المشهد ...

فقام بهدوء و ببطء بإبعادها عنه ثم نظر إلى وجهها المتعب و عينيها الدامعة و قال لها بصوت أشد لطف من سابقه: أنا آسف ... أعدك أنني لن أتركك وحيدة بعد اليوم ... لا تخافي أرجوك

كانت تبكي و تمسح وجهها بيديها ببراءة و هي تومئ برأسها إيجابا ...

-أخبريني ما الذي حدث؟

بدون تردد و لا حتى ثانية انتظار ...

بدأت تسرد ما حدث مع شهقة تقطع بين كلمات بين الفينة و الأخرى: كنت في المطبخ أعد لك طعام العشاء حينما سمعت صوتا خفيفا على الباب لم أفهم ما هو ... اقتربت منه فسمعت أصوات همس ... نظرت من فتحة المفتاح فلمحت أشخاص ضخام الجثث ثم رأيت مفتاح يدخل الفتحة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأسرعت و اختبئت حيث وجدتني ... لقد حطموا كل شيء و كانوا يبحثون عني و يصرخون بأنهم سوف يقتلوني إن وجدوني أبشع قتلة ... كانوا يبحثون في كل مكان حتى في الخزانات ... خفت كثيرا ... دعوت الله أن لا يجدوني ... الحمدلله أن أحد الجيران أظنه شعر بشيء فجاء ليسأل عن الأمر و لكنهم كذبوا عليه و أخبروه أنهم أصدقائك و أنهم جاءوا لزيارتك و لم يجدوك فغادروا ... لكنني خفت و لم أستطع الخروج ... خفت أن يعودوا ... قالت ذلك و انهارت تبكي بشدة ... بينما ظل "زياد" يراقبها في شيء من الأسف على حالها و الندم من نفسه ..

بعد دقائق استعادت يقين هدوئها ...

فجأة اقتحم مسامعهم صوت شجي "الله أكبر الله أكبر " جعل ذلك الصوت "يقين" ترفع رأسها بسرعة ثم تقف بقوة تتناسى بها ما حدث معها و تقول: إنها الصلاة ... علي أن أذهب الآن ...

بينما كان "زياد" ينظر لها في استغراب شديد منها ثم سألها: إلى أين ؟

-إلى الصلاة ...

نظر لها في دهشة و في نفسه يقول: هل هذه هي نفس الفتاة التي كانت قبل قليل منهارة أقصى درجات انهيارها ... ما سرها؟

- هل أصبحتي بخير

- أجل شكرا لك ... و آسفة لإقلاقك علي

- لم تفعلي شيئا هذا ليس ذنبك

ابتسمت ابتسامة خفيفة ثم قالت: لابد أنك متعب اذهب لترتاح ...

ثم غادرت و اتجهت نحو غرفتها ...

صلت و قرأت بعض الآيات استعادت بهم رباطة جأشها و شعرت بالأمان و الراحة بعد أن شكرت ربها ....

نهضت في الصباح لأول مرة في وقت متأخر بعد تعب الليلة الماضية ... لكنها ارتعبت بشدة لفكرة أن زياد قد غادر المنزل لأنه يوم عمله و يجب أن يذهب باكرا ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشت ببطء نحو الباب و فتحته لم تلاحظ وجود أحد فعادت لها صور الليلة الماضية فاشتد رعبها أكثر ...

وقفت خارج الغرفة ترتجف و تجول برأسها في الأرجاء ...

فجأة لاح لها وجه زياد في باب المطبخ ...

يقف بهدوء و هو ينظر إليها نظرة تعجب ...

لكن عندما رأى قسمات وجهها التي انقلبت من الفزع إلى الارتياح ...

ابتسم و ألقى عليها التحية ...

ردت التحية و أسرعت نحوه سائلة: لماذا لم تذهب للعمل ؟

-لقد استيقظت متأخرا و لأنني وجدتك لم تذهبي للدراسة قررت البقاء أنا أيضا

أطرقت برأسها على عينيها نظرات آسفة و قالت: لكن لا أريد أن تهمل عملك بسببي

-لا بأس إنه يوم واحد لن يؤثر

- أنا آسفة

- لا عليك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نبض القلب

أراد "زياد" أن ينسيها ما حدث معها بالأمس ويفعل أمرا يساعدها على ذلك: ما رأيك أن نذهب للتجول في مكان ينسينا ما حدث و يرفه عنا ...

ابتسمت بامتنان و قالت : حقا؟

-أجل إلى حيث تشائين

أطرقت قليلا ثم قالت : منتزه العائلات ...

استغرب من طلبها البسيط هذا و لكنه وافق عليها و أخبرها أن تتجهز للخروج ...

ارتدت "يقين" عباءة زرقاء و حجابا أسود و ذهبت لتخبره بتجهزها ...

نظر إليها "زياد" و حاول هذه المرة اخفاء انزعاجه من هيئتها قدر المستطاع ...

راح الاثنان يسيران في الشارع في هدوء ...

كل منهما هائم في أفكاره ...

أطلق زياد أفكاره نحو الماضي و المستقبل ...

ما الذي حدث و ماذا يجب أن يفعل؟ لقد بدأ يخطو ببطء نحو الأمام ...

فما مصيره و أين ستكون نهاية هذا الطريق الغامض؟ ...

أما هناك حيث القلب البريء ...

روح حزينة ترتدي الأمل ...

روح فقدت الكثير ..

. الأهل و حنانهم و الملجأ في الدنيا ...

لكن قناعتها بقربها من الله جعلتها تصمد ...

اليوم تجد نفسها عالة على شخص لا تعرفه ...

تذكرت ما حدث الليلة الماضية ...

هل سيتكرر هذا؟ و إلى متى ستكون سببا في عدم راحته؟؟ ...

تذكرت ذلك العناق ...

احمرت وجنتاها بشكل ملفت ...

لا تصدق أنها تجرأت على فعل ذلك؟ ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صحيح أنهما زوجان و كل ذلك جائز شرعا لكن لم ترغب أبدا في فعل أمر لا يرغب به ...

كانت تعلم أنه لا يطيق وجودها لكنها لم تتعمد ذلك لقد كانت منهارة و في حاجة لذلك الحضن هل يا ترى قدر ذلك؟ هل سيسيء فهمها؟ هل هو منزعج من ذلك؟ ...

لكنها مضطرة لتحمل هذا الرفض ليس لديها أي خيار آخر ...

مسحت كل تلك الأفكار عن ذهنها و استبدلتها بابتسامة جميلة طالما تزينت بها ...

ابتسامة تخفي بشكل كامل كل الحكايات التي تحملها روحها الحزينة ...

ابتسامة صمود تثبت بها لنفسها أنها قوية و لن تستسلم ...

وصلا إلى المنتزه ...

أشار إليها نحو مقعد يحيط به الهدوء في مكان جميل بقربه نافورة و تطل عليه شجرة كرز مزهرة ...

جلسا على طاولة مستديرة عليها غطاء جميل مزركش بزهور الكرز ليلاءم المكان الذي كانا فيه و عليه مزهرية صغيرة ...

كان المكان جميلا ...

شعرت "يقين" أنها تنتمي إلى ذلك المكان ...

شعرت أن روحها اتحدت مع شجرة الكرز ... فباتت سعيدة و مرتاحة بذلك السلام الذي منحه إياها المكان ...

بينما كان "زياد" يراقبها في صمت و كأنه يحاول قراءة أفكارها و لكن ابتسامتها جعلته عاجزا عن ذلك ...

لقد شعر أن تلك الابتسامة تروي حكايات كثيرة حاول أن يستوحيها منها فبقي يتأمل فيها بدهشة ...

التفتت "يقين" فوجدته على تلك الحال مما جعلها ترتبك و تشعر بخجل شديد ...

كانت نظراته تقيدها بشدة فما كان منها إلا أن تنحنحت فاستفاق من وضعه و ارتبك كثيرا ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكن "يقين" سرعان ما مررت الأمر و قالت و هي تشير نحو طفلين صغيرين : أنظر ما أجملهما ...

أرادت أن تخرج نفسها من ذلك الموقف ...

فتقصدت إلهائه بقصة الطفلين ...

لم تكن تعرف لماذا في ذلك الحين كان قلبها يدق بسرعة كبيرة ...

شعرت أن حريقا اجتاح وجهها و كأنها شعلة أرسلتها نظرات عينيه ...

أما هو فكان يبدو طبيعيا جدا و لم يبالي بشيء حتى بالطفلين الذين تشير إليهما فقط كان ينظر ببرود ...

كانا طفلين صغيرين يشبهان بعضهما شبها كبيرا ...

لابد أنهما توأمين ...

بقرب النافورة يلعبان ...

فجأة سقط أحدهما بينما كانا يركض وراءه شقيقه ...

وقفت "يقين" فزعة بينما بقي "زياد" ينظر حولهما حيث كانت والدتهما تهب مسرعة نحو الصغير فتحمله و تقوم بإسكاته في ذلك الحين يأتي والدهما يحمل معه مثلجات يقدمها لهما ...

فيفرح الطفل الذي كان يبكي بينما يقفز أخاه مهللا فرحا ...

حز في نفس "يقين" ذلك المشهد العائلي الرائع جعلها تعود لذكرياتها القديمة مع والديها حينما كانت تلعب في حديقة المنزل و كيف كان والدها يدللها و والدتها تخاف عليها كثيرا من مرحها ...

سالت دموعها من دون إدراك منها ...

حينما رآها "زياد" سألها في عجب : ما بك؟

لم تستطع أن تبوح له بما تشعر به لذلك قالت له و هي تسمح دموعها:

لا شيء فقط خفت على الصغير أن يصاب بمكروه ...

لكن "زياد" لم يكن يخفى عليه أن مشهد العائلة هو الذي أثار في نفسها الحنين لعائلتها و جعلها تحزن ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علم ذلك لكنه لم يكن يشعر بما تشعر به لأنه أخر شخص يدرك معنى العائلة لولادته في عائلة مشتتة مفتتة كعائلته فإن حقده على عائلته و خاصة والدتها بقدر حب "يقين" لعائلتها ....

مرت دقائق كانا يرتشفان القهوة في صمت ....

فجأة مرت 3 فتيات بقربهما ...

في البداية اتخذن طاولة بعيدة عنهما ...

لكن بشكل غريب و مريب غيرن المقعد ليكون قريبا منهما و مقابلا ل "زياد" ...

ما هي إلا لحظات حتى اشتدت الهمسات و الهمهمات ...

استطاع الاثنان التقاط أهمها بقسمات تدعي عدم الاكتراث ...

-انظرا إلى ذلك الشاب إنه وسيم جدا

-أجل و يال هندامه الأنيق

-لكن من تلك التي معه؟

-لا أعلم لكن لا أظن شاب بمثل ذوقه ستكون فتاة كتلك حبيبته أو ما شابه

-أجل أي تخلف هذا ... أخشى أن يكثر أمثالها في البلاد

- و لكن يال حظها مع من تجلس

و البقية همهمات غير مفهومة و ضحكات سخرية غريبة ...

حوار جعل "زياد" ينزعج ...

لم يعلم ما الذي أزعجه أكثر ...

حديث الفتيات عنها أم صحة ما قلنه في نظره ...

أما يقين فلم تبدي أيه ردة فعل في البداية لكنها كانت ردة فعل غريبة بعد ذلك بلحظات إذ أطرقت رأسها قليلا و تنهدت في هدوء لتستقر شفتاها على ابتسامة غريبة تحمل معاني كثيرة لكن أكثر معنى كان واضح عليها هو الشفقة و كأنها تشفق عليهن ...

قاطعها صوت زياد الذي لم ينتبه لكل هذا: هل نعود ؟

فأجابت بهدوء: أجل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منذ ذلك اليوم أصبح "زياد" أشد قربا من "يقين" كان يشرف بنفسه على إيصالها للمدرسة ويعود بها خوفا من أي هجوم مباغت من العصابة التي لم تعرف بعد ما قصتها و لم تسأل ...

قلت زياراته لشيماء مما جعلها تنزعج منه و لكنه تحجج بانشغاله و لم يبرر أكثر من ذلك ...

أما "يقين" فكانت تصارع ذلك الشعور الذي يسيطر عليها بقرب "زياد" ... لم تكن تعلم كيف تتحكم في دقات قلبها المتسارعة ...

كانت تسمعها من شدتها و يخيل لها أن "زياد" أيضا يسمعها لأنها كانت قوية فتخشى أن يكشف أمرها ...

أما هو فكان باردا نحوها ...

كان قريبا فقط بوجوده ...

لم يكن يكلمها كثيرا و لا يفتح معها أي موضوع للنقاش...

لكنه كان يعتني بها جيدا ...

رغم انزعاجه و شعوره بأنه أصبح مقيدا بسببها إلا أنه اضطر للتحمل من أجل وعده ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الابتلاء الصعب

اليوم هو يوم عطلة ...

كانت "يقين" تجهز نفسها لاختبارات الباكالويا و أراد "زياد" الخروج قليلا ...

لذلك كلف حارسين بحماية "يقين" ريثما يعود ...

و انطلق مسرعا نحو شيماء ...

عندما وصل إليها أبدت له انزعاجها و رفضت التحدث معه: -أنا آسف لقد انشغلت كثيرا مؤخرا

-كان بإمكانك الاتصال بي على الأقل

- لم لأستطع لم أكن أجد وقتا للنوم حتى

تغيرت قسمات وجهها الغاضبة للحب و الهدوء : حسنا حبيبي هل أنت بخير الآن؟

-أجل أفضل قليلا ...

-أريد أن أخبرك أمرا

أطرق برأسه و قال: أنا ايضا علي أن أخبرك بأمر مهم ...

-حسنا ابدأ أنت ...

-لا ابدئي أنتي أولا

بدأت تقترب منه و على وجهها عبارات دلال و رومنسية ...

ثم قامت بإمساك يده و هو لا يزال واقفا بدون حراك يتابع حركاتها في استطلاع و هدوء..

أخذت يده و وضعتها على بطنها ثم قالت بصوت طفولي : حبيبي ها قد جاء بابا أخيرا أعلم أنك كنت تنتظره معي ...

كلمات جعلت "زياد" يسحب يده بسرعة و يعود إلى الوراء خطوتين و يقول بصوت منقطع و مشوب بصدمة و اندهاش: مممم ماذا؟ ما الذي تقولينه ؟ لم أعهد عليك مثل هذا المزاح ...

نظرت إليه في دهشة و قالت :أنا لست أمزح ... زياد أنا حامل

كلمة جعلته يتزعزع من مكانه و يكاد يقع أرضا .... كلمة جعلته يوشك على الجنون و بقوة صرخ فيها: ما هذا الهراء؟؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كانت ردة فعله صدمة لشيماء التي ظنت أنه سيسعد بالخبر: كيف؟؟ هراء؟؟

-أجل ... لا يفترض بهذا أن يحدث ظننت أنك كنتي تتجنبين حدوثه؟

امتلأت عيناها بالدموع و قالت بحزن شديد: أجل فعلت ذلك ... لكنه حدث رغما عنا...

أمسك زياد رأسه في حيرة و ذهول و سار يدور حول نفسه في نوبة جنون و يقول في فزع : ما الذي سأفعله ما الحل؟

أوقفته شيماء و قالت: الحل هو أن نتزوج

التفت إليها و قد لمعت عيناه السوداء بغضب أشد: هذا لا يمكن..

-لماذا لا يمكن؟ هل كنت مجرد لعبة لك؟

- ليس هذا السبب و لكنه لا يمكن لأنني .. لأنني

-لأنك ماذا أجبني؟

-لأنني متزوج

نزلت تلك الكلمات عليها كالصاعقة ...

و لم تستطع أن تمسك نفسها عن الوقوع أرضا في انهيار شديد تبعه انهمار شديد لدموعها ثم تقول: متزوج؟ لا أصدق هذا؟ هل كنت تخدعني كل هذا الوقت؟ ما الذي فعلته بنفسي انا؟

- أنا آسف لم أحسب أن الأمور ستصل إلى هذا المنوال ...

- لماذا لم تخبرني بزواجك من قبل ؟

- لأنه كان زواج إجباري

ضحكت ضحكة يشوبها قهر شديد و قالت: زياد ... من يلقبونه "ليون" الأسد الثائر الذي يهابه الجميع يجبر على الزواج بفتاة لا يريدها

-لا يمكنك أن تفهمي موقفي لو كان بإمكاني الرفض لرفضت و لا أحد يمكنه إرغامي عليه و لكن من أجبرني هو الظروف و هي الشيء الذي لا يمكنني التحكم فيه ...

- حسنا و ما الحل لي؟ هل لديك حل ما؟

-أجهضي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صدمت منه و قالت في انفعال شديد: لا مستحيل لا يمكنني ذلك...

رد عليها بصوت غاضب برقت معه عيناه لتغدو عيني ليون المخيف الذي تعرفه ليجعل ذلك قلبها يرتجف من حالته التي يبدو فيها انه قد فقط السيطرة غضبه :

-و أنا لا يمكنني تقبل الولد و لا يمكنني أن أنسبه إلي لذلك من الأفضل لك أن تجهضيه و تريحي كلينا...

أطرقت شيماء للحظات تبكي بحرقة شديدة ثم قامت و قالت له بعد أن مسحت دموعها و رسمت ابتسامة على شفتيها و قالت: حسنا

نفخ "زياد" في شبه ارتياح ثم قال لها و هو يهم بالمغادرة: عندما تقومين بذلك اتصلي بي ... و أتمنى لك حياة سعيدة ...

ثم غادر من دون أن يلتفت إليها ...

لم يلتفت و لم يرى ذلك القهر الذي ملأ كيانها و جعلها ترتعش ثم تنهار ثم يغمى عليها ...

انطلق بسيارته في أزمة غضب شديدة لم يكن ينقصه حينها غير اتصال ... اتصال عقد الأمور أكثر فأكثر ..

رن الهاتف كان الاتصال من أحد الحارسين المكلفين بحماية "يقين" ...

- ما الأمر؟

- سيدي أرجوك أسرع الأمور تسوء لن نستطيع حمايتها أكثر من ذلك

أغلق الهاتف و انطلق بسرعة تكاد بها تنفجر عجلات السيارة ...

في ذلك الحين كان هناك 4 رجال ضخام الجثث ...

يقودهم رجل يبدو في الخمسين من عمره ...

نظراته مخيفة تقدح شرا ...

يرتدي خواتم كثيرة في أصابعه الإبهام و السبابة و البنصر ...

كان 2 من رجاله يمسكون بأحد الحراس ...

و إثنان يضربان الحارس الثاني ...

بينما كانت يقين تقف في فزع شديد و قد تملكها الخوف فلم تعد قادرة حتى على السير للهروب ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

توقفت كل حواسها ضلت فقط عيناها تنظران لذلك المشهد و تاهت مسامعها مع صوت دقات قلبها الخائفة ...

وضع الرجال الحارس على كرسي بينما تقدم الرجل ذو الخمسين سنة و على وجهه ابتسامة تضمر شرا شديدا و يبدو أنه كان قادما على فعل أمر سيء ... سيء جدا ...

تكلم بصوته القوي المفعم بثقة غريبة و قال يوجه الكلام نحو يقين التي كانت ترتعش من شدة الخوف حتى أنها وقعت جالسة على الأرض و دموعها تنهمر و هي تقول لهم : م الذي تريدونه مني ... دعوني و شأني

ضحك الرجل ضحكة شريرة و قال لها : سنريك ما الذي نريده منك قبل أن نأخذه منك

اقترب من الحارس الذي بين يدي الرجلين و هناك قدم له أحدهم سكينا

نظر إلى يقين نظرة يقول بها : راقبيني ...

نظرت يقين و قد تملك الرعب قلبها ...

قال لها بسخرية: لا تخافي يا صغيرة هذا لن يكون مؤلما كثيرا ...

م م م م -

لا تسألي كثيرا ... فقط راقبي ما سأفعله لأنني سأفعله بك ... لقد - أتعبتني كثيرا و أنا أبحث عنك و اليوم لن أدعك تفلتين من يدي و لن يستطيع ذلك الأحمق زوجك أن ينقذك مني

ضحك نفس الضحكة و تقدم من ذلك الحارس الذي كان مكبلا نحو الجدار و الرجال يمسكون به من يديه و يكبلون رجليه بأرجلهم ...

ببرود و من دون أن يرف له جفن قام الرجل بشق بطن الحارس من أسفل حتى أعلى ...

تهاطلت دمائه لتملأ كل الغرفة و لم تعد تسمع "يقين" من كل الدنيا سوى صوت صراخه المؤلم و لا ترى سوى أحشائه التي انسدلت نحو سطح الغرفة بشكل يقشعر له البدن و دمائه تلون سطح الغرفة ...

بينما هم على تلك الحال اقتحم زياد المكان في فزع شديد ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عندما رأى ذلك المشهد الفظيع أدار رأسه بسرعة في دهشة و حتى هو الرجل القوي ذو القلب الشجاع لم يتحمل ذلك المشهد و بسرعة عاد يبحث بعينيه عن مكان "يقين" ...

و كانت صدمته شديدة عندما رآها و عينيها مثبتتين على مشهد الحارس المقتول ...

تقدم منها بسرعة و قد تملكه فزع شديد ...

أمسكها من كتفيها و بدأ يهزها بقوة و يقول بصوت قوي و فزع: يقين لا تنظري هناك ...

يقين استيقظي أرجوك ...

التفت نحو العصابة حيث كانوا ينظرون إليه نظرة شماتة و انتصار و لم يتقدموا منه ...

بل كانوا يشاهدون منظر يقين و زياد في فرح يشوبه نشوة انتصار ...

انطلق نحوه بسرعة و قد تملكته ثورة غضب شديدة : أيها النذل ...

اعترض الرجال طريقة و لم يتردد في ضربهم جميعا بينما كان الرجل لازال ينظر إليه بنفس الابتسامة ...

أمسك به الرجال الأربعة و كان لازال غاضبا يفك نفسه من بين أيديهم ...

بينما نظر إليه الرجل و ضحك بسخرية و قال: مرحبا بك يا صديقي ... لقد انتظرناك كثيرا لكنك تأخرت و الآن علينا أن نغادر فالوقت تأخر و لكن لا تقلق لقد تركنا لك تذكارا سيسعدك كثيرا ...

رموه أرضا و خرجوا مسرعين ...

حاول اللحاق بهم لكنهم كانوا قد رحلوا ...

لم يستطع أن يتبعهم فكل فكره كان منشغلا بحالة "يقين" ...

عاد إليها مسرعا و كانت لا تزال على نفس الحال ...

لم يكن يصدق ما حدث ...

تقدم منها بسرعة و عاود هزها: يقين ما الذي حدث لك ... يقين انظري الي ...

لم تكن تسمعه ..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لم تكن تراه ...

بل ربما كانت روحها قد أصبحت تنسحب من جسدها ...

لكن شيئا قد عسر خروجها ...

انه ذلك المشهد ...

أي قلوب هذه ...أي وحوش هؤلاء ...

لا تكفي الكلمات لتصف ...

لا لتصف مدى وحشيتهم ...

و لا حتى لتصف حالة "يقين" في ذلك الحين ... و لازال "زياد" يحاول إخراجها من صدمتها ...

حاول بكل الطرق حتى جعل يصفعها بقوة على وجهها و لا حياة لمن تنادي ...

لم تكن هناك دموع ...

لم يكن هناك صوت و لا حركة تصدر منها ...

لا شيء يدل على أنها حية سوى أنفاسها ...

فجأة وقعت مغشيا عليها ...

حملها بسرعة و غادر البيت ...

قرر أنه لن يعود لذلك البيت أبدا ...

حملها نحو أقرب فندق و أحضر لها طبيبا ...

الطبيب: إنها في حالة صدمة شديدة ...

نخشى أن تسوء حالتها

- ماذا سيحصل لها دكتور؟

أطرق الطبيب برأسه أسفا و قال: قد تصاب بالجنون

فزع زياد بشدة: ما الذي تقوله ... لا يجب أن يحدث هذا ...اخبرني ما الحل

- يجب أن تعتني بها جيدا لا يمكن أن نضمن شيئا الأمر متوقف على قدرة احتمالها .. راقبها جيدا أحضر لها طبيب نفسي و أبعدها عن كل ما يعكر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صفوها و يفضل أن تقوم بالأشياء التي تحبها و تأخذها إلى مكان هادئ و جميل

- بالتأكيد سأفعل ذلك المهم أن تكون بخير

- لا يمكن أن نضمن ذلك الأمر يتوقف على معنوياتها هي و قدرة تحملها

دخل "زياد" في دوامة حيرة ...

كان متعبا جدا ...

شعر للمرة الثانية أنه نقض العهد و أخلف الوعد و خيب أمل معلمه ..

. كاد أن يتمكن منه اليأس ...

كانت يقين مستلقية على الفراش غائبة عن الوعي لكنها فجأة بدأت تتحرك ...

ثم أصبحت تصرخ و العرق يتصبب على جبينها ...

أشفق على حالها و ما كان منه إلا أن يصر على شفائها ...

عاد إلى بيته ليجمع أغراضه

و أغراض يقين كي يرحلا من المنزل ...

عندما دخل غرفتها انتابه شعور غريب ...

لم يعلم ما مصدره ...

كأن روحها عادت معه و بدأت تتجول هناك ...

فتح خزانتها ...

كانت ملابسها الغريبة بالنسبة له مصففة بشكل منتظم ...

ملأ حقيبتها بها ...

التفت في الجهة الأخرى ...

كان هناك طاولة عالية بعض الشيء ...

عليها سجادة و لباس صلاة و مصحف ...

لم يعلم لماذا شعر أنه عليه أن يأخذهم فاقترب منهم ..

كلما يقترب كان يشعر بضيق في صدره ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكر في التراجع لكنه تذكر شدة تعلق "يقين" بهم و قد تحتاجهم في علاجها لذلك أخذهم بعجالة و عاد للفندق حيث كانت يقين في سبات اثر المهدئ الذي قدمه لها الطبيب ...

مرت تلك الليلة عصيبة على زياد لم يستطع النوم كان خائفا جدا أن تستيقظ يقين و تسوء حالتها ...

كانت علامات وجهها المتعبة و أصوات الأنين التي تطلقها طول الليل يدلان على أنها تتعذب و ترى ذلك المشهد في أحلامها ...

اختار زياد بيتا صغيرا بعيدا عن المدينة ...

كان بيتا ذا إطلالة جميلة تحيط به حديقة حرص أصحابها على بهجتها طول الوقت ...

و بقربه بحيرة صغيرة فكر أنها ستكون شيئا ملائما لحالة يقين حتى ترتاح و كان قد أخذ إجازة مفتوحة لن يعود خلالها للعمل إلا اذا تحسنت حال "يقين" و لم يبالي حينها بمعارضة والده و لا بأي شيء فلم يكن هناك شيء أهم بالنسبة له من الوعد الذي قطعه على معلمه ...

لم تكن قد استيقظت بعد ...

حملها و وضعها على الفراش و ظل يراقبها منتظرا أن تستيقظ و الا فإنه سيضطر لاستعمال المغذيات الحيوية ليستطيع جسدها المقاومة ...

و لحسن الحظ فإنها استيقظت ...

اقصد عيناها كانت مستيقظة لكن روحها لازالت في سباتها ...

و جيد أن زياد قد فكر في إحضار خادمة معه لتعتني بيقين ...

و قد قامت هذه الخادمة بإحضار الطعام و بصعوبة جعلتها تأكل منه القليل ...

ثم غيرت لها ملابسها و هي لا حياة لمن تنادي ...

كانت جالسة بلا حراك و لا أي صوت ..

تنظر في الفراغ و لا كأنها حية ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عند المساء و بينما كان زياد بجوارها جاءت الخادمة و أخبرته أن الطبيب النفسي قد حضر فأخبرها أن تسمح له بالدخول ...

عندما طرق الطبيب الباب نظر زياد نحو يقين ...

في البداية كانت نظرة أسف لكن هذه النظرة تغيرت عندما أدرك هيئتها في ذلك الحين ...

كانت بدون حجاب تذكر موقفها عندما طلب منها نزع حجابها علم أهمية الأمر عندها بالنسبة له الأمر ضروري بالنسبة لحالتها و أيضا احتراما لرغبتها ... كان الطبيب قد أعاد الطرق مرة أخرى ينتظر السماح له بالدخول ...

لكن زياد أجابه و هو يقوم عن مقعده بسرعة: لحظة من فضلك ...

اتجه بسرعة نحو الخزانة و أخذ منه حجابا كبيرا ...

نظر للحجاب في حيرة و لم يكن يدري ما الذي عليه فعله و كيف ذلك ... لكنه قرر أن يفعل ذلك كيف كان المهم أن يلف عليها هذا الحجاب و يغطي شعرها ...

فقام بلفه عليها بشكل فوضوي ثم سمح للطبيب بالدخول ...

عندما رآها الطبيب اندهش من مظهرها أطرق زياد قليلا و ادعى عدم المبالاة و طلب منه أن يتقدم لعلاجها ...

طلب الطبيب من زياد الخروج كي يستطيع معالجتها فخرج زياد ...7 لم يعلم أن هذا الشيء كان عاملا مساهما في عدم استجابة يقين للعلاج ...

ظلت على تلك الحال أيام لم تتحسن خلالها و لو قليلا حتى يئس الطبيب من حالتها ...

لم يعلم ما الذي يفعله ...

كان حائرا ...

ما الذي عليه فعله؟

لازال الطبيب يقول له : افعل شيئا تحبه يقين بشدة قد يساعدها في الإستجابة ...

ما الذي تحبه "يقين" ...

فكر كثيرا ما هو هذا الشيء ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فجأة خطرت بباله تلك الفكرة ...

أجل إنه شيء يبهج يقين ...

إنه القرآن

... كانت تبدو سعيدة عندما تستمع له ...

و لذلك نهض بسرعة و فتح الإنترنات و جعل صدى آيات القرآن يملأ الغرفة و يتسلل خارجها ...

مر وقت طويل و الآيات تتلى بصوت عذب يستمع له كلا من يقين و زياد ...

كان زياد يشعر بنفس الضيق في صدره و يفكر في سببه ...

بينما كانت يقين ترتخي شيئا فشيئا و تنام في هدوء ...

تنام من دون منوم ...

و من دون أن تئن ...

اندهش زياد كثيرا لذلك ...

و جعل يتساءل عن سر تأثير القرآن عليها ...

لماذا يجعلها تهدأ و يجعله في ضيق؟

كيف له أن يجد إجابة ...

لكنه فكر في مضاعفة تأثير هذا القرآن على يقين لعله يكون سببا في شفائها ...

و لذلك قرر أن يقوم بشيء ...

في الصباح أوصى الخادمة بالاعتناء بيقين و ترك مجموعة من الشرطة تحرس البيت خوفا من أي هجوم آخر يستهدف حياة يقين ...

ثم اتجه وسط المدينة ...

وقف أمام أول مسجد رأته عيناه ...

بقي ينظر إليه مطولا و في نفسه يقول: "لماذا لم أدخل مسجدا من قبل؟ ما الذي منعني من ذلك؟ أي علاقة يجب أن تجمعني به؟؟"

تملكه تردد في الدخول و لكن من أجل يقين سيفعل المستحيل ...

هكذا أصبح مؤخرا ...

مستعد لفقدان كل شيء من أجلها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يعلم ما السبب الحقيقي هل هو الوعد أم شيء آخر ...

هل يعتبر هذا مبالغة في وفائه بالوعد أم أن الأمر عادي؟ ...

دخل بصعوبة يجر خطاه نحو المسجد ...

كان هناك عدد قليل بين مصلين و من يتلون كتاب الله ...

نظر إليهم نظرة يحاول بها اكتشاف مشاعرهم ...

ترى كيف يحس هؤلاء؟ ...

لماذا يبذلون كل هذا؟ هل هذا واجب؟

سأل عن الإمام و عندما أشاروا إليه به اتجه نحوه مباشرة و حياه بشيء من الارتباك : السلام عليكم

ابتسم الإمام و رد عليه في لين : و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته بني ...

زاد لطف الإمام من ارتباك زياد و لم يعلم كيف يبدأ الكلام غير أن الإمام بادر قائلا : تفضل خيرا إن شاء الله ...

همهم زياد قليلا ثم قال بصوت يشوبه الارتباك: الحقيقة أنا أريد أن أسألك في أمر ...

فرد الإمام بترحيب : تفضل في الخدمة ان شاء الله ...

فحكي زياد للإمام قصة يقين و ما حدث معها ...

و حكا له عن تأثرها بالقرآن و سأله كيف يمكن أن يزيد تأثيرها به لكي تصبح حالتها أفضل ...

فرد الإمام بكل بساطة و تبسيط : كثف لها وجود القرآن حولها و ترتيلاته و سيكون جيدا جدا لو أنك تقرأ لها الآيات بنفسك و أنت تضع يدك على رأسها سيساعدها هذا بحول الله تعالى و قدرته ...

فنظر إليه زياد بشيء من العجب و أجابه: فقط ؟

فضحك الإمام و قال : أجل فقط

حسنا شكرا لك .. -

ثم هم بالخروج غير أن صوت الإمام أوقفه و هو يقول له : انتظر قليلا ستبدأ الصلاة ... صلي صلاتك ثم غادر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لكن أي شعور هذا الذي انتابه ...

إنه خجل و لكن به أسف و شيء من الندم ...

لماذا؟

لم يكن يعرف ...

ما الذي سيجيب ؟ ...

تلك كانت من أصعب لحظات حياته ...

هذه ليست حرب و لا معركة فتكون الركلات و الضربات إجابته السهلة ...

هذا موقف من السلام ...

سلام لم يجد له إجابة ...

سلام لم يعتده من قبل ...

خفض رأسه بانكسار و انهزام ...

لم يعرف سببه ...

لم يجبه ...

فلم يكن يملك إجابة ...

إنما غادر

...

عاد "زياد " إلى البيت حيث كانت يقين في غرفتها جالسة تائهة في الفراغ تتأمل خارج الغرفة ولا يبدو أنها ترى منه شيئا ...

و بسرعة قام زياد بفتح حاسوبه و شغل مسجلات القرآن ليتسلل صداها إلى فؤاد "يقين" ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الليل و كالمعتاد قد أصبح زياد ينام في غرفة يقين كي يراقبها ...

كان قد اتخذ من أريكة قريبة منها و جعل ينام عليها ...

الأضواء منطفئة ...

ما عدا ضوء صغير ينتشر داخلها بتمرد فيجعل الرؤية فيها ممكنة ...

زياد نائم ...

و يقين كذلك ...

فجأة بدأت أطراف يقين بالتحرك ببطء ...

و ظهر على وجهها علامات فزع ...

و بدأ يخرج منها صوت شيئا فشيئا بدأ يعلو ...

و أصبح صراخا و هي تقول بصوت مختنق باك: لا أتركني ... لا لا تفعل هذا أرجوك ...

اشتد الصراخ و أفزع زياد الذي فقز من مكانة و أشعل النور في الغرفة ليصطدم بحالة يقين الصعبة ...

لم يعرف ما يفعل ...

لكنه جلس على السرير و جذبها نحوه و احتضنها و جعل يخفف عنها بصوت حنون قلق: اهدئي أرجوك ... انتي يخير ... انا معك ... لا تقلقي

كان يربت على شعرها بهدوء و هي لا تزال في حالة هيجان و تصرخ و تبكي ...

ثم بعد قليل هدأت و عادت للنوم بين أحضانه ...

في ذلك الوقت تذكر زياد ما قاله الإمام ...

فتح حاسوبه أجرى بحثا حول الوضوء لأنه كان يعلم أن القرآن شيئا مقدس و لا يجب أن يقرأ من لمصحف إلا و هو متوضئ ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعلم المراحل و أسرع نحو الحمام و قام بها ...

عاد و اتجه نحو الرف حيث كان المصحف يقبع في مشهد يجعل قلب زياد ينقبض كلما رآه ...

بصعوبة أخذ المصحف و بدأ يتفحصه ...

خطوط و أحرف و كلمات ...

كانت لها طاقة تسللت في جوف روح زياد لتمنحه رغبة في التطلع لكل منها على حدا ...

فضول انتابه لأول مرة يصاحبه الم طفيف يلامس مشاعره الحزينة ...

كانت عيناه تقع على الآيات و كأن قلبه يلتقط ما وجه له من رسائل في هذا الكتاب ...

في كل مرة يجد ما ينطبق عليه في كل كلمة يقرأها ...

شعر بحزن شديد على نفسه ...

كان تائها لا يميز أي طريق عليه أن يسلك ...

تلك الآيات جعلته يتذكر نفسه بين غيابات هذه الحياة ليجد نفسه على شفا حفرة من الضياع الذي لا مخرج منه ...

فما المقصود ب "فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا و ما عند الله خير و أبقى للذين آمنوا و على ربهم يتوكلون(*) و الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش و إذا ما غضبوا هم يغفرون (*) و الذين استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون

...

في نفسه يقول: متاع حياة الدنيا و ما هي كبائر الإثم و الفواحش و ما هي أهمية الصلاة ؟؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم يمرر الصفحات واحدة تلو الاخرى و تارة بطريقة عشوائية فتصطدم عيناه بآية تزيد من حيرته : فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها و لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا يعلمون ...

انقبض قلبه بشدة جعلته يغلق المصحف بانفعال ثم يراجع نفسه و يعود ليفتحه مرة اخرى و قد تمكن منه الفضول ليلتقي هذه المرة بآية تسدد له أسهما من الكلمات تجعله يكاد يخر باكيا لولا أنه أمسك دموعه بصعوبة شديدة و ذلك بسبب ما ورد في سورة القيامة : "كلا إذا بلغت التراق (*) و قيل من راق(*) و ظن أنه الفراق(*) و التفت الساق بالساق(*) إلى ربك يومئذ المساق(*) فلا صدق ولا صلى (*) و لكن كذب و تولى (*) ثم ذهب إلى أهله يتمطى (*) أولى لك فأولى (*) ثم أولى لك فأولى

كان قد انشغل بما ترى عيناه من كلمات فيها تأثير عجيب عن يقين التي بدأت تتحرك في فراشها لكنها أطلقت أنة صغيرة جعلته يدركها ثم يقوم بفتح سورة ياسين و يقراها صوت خافت تلوح من بينه همسات مكللة بغصة يكتم بها دموعا ابى يوما أن يسمح لها بالإنهمار لأنه الرجل الذي لا يبكيه شيئا ...

و مرت الأيام بدأت حالة يقين تتحسن قليلا ...

خلال تلك الأيام احتل الفضول كل كيان زياد و جعل يقرأ كلمات القرآن كاملة و يحاول بكل جهده أن يجد تفسيرا لها فيقوم ببحوثات على الإنترنات و بدأ شيئا فشيئا يتعمق فيها و يفهمها بل و قد تولدت لديه رغبة في معرفة المزيد عن دينه الذي ولد عليه بالفطرة و لم يكن يعرف عنه غير الاسم و قد ولد في محيط مثله لا يهتم بالدين و لا يعرف عنه شيء ... خلال تلك الأيام لم يعد زياد يحضر علب النبيذ و الخمر للبيت كعادته ... فقد كان يشتريها و يخبئها في مكان لا تراه يقين و حتى قبل مرضها و خاصة بعد مرضها فقد كان يعتمد عليه لنسيان عجزه و مشكلته الصعبة أما الآن فقد شغل البحث و الفضول فكره عن كل هذا ...

حتى إنه قد بدأ يشعر بالنفور تجاهه ...

نفور لم يعلم مصدره ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و مع ذلك فإن بحث زياد قد جعل دوامة الحيرة تزيد من سرعتها و قد وقف عاجز عن اتخاذ أي خطوة في حياته و لم يجد الجرأة في ذلك و قد كان محتاجا بشدة لمن يمسك بيده و يرشده إلى طريق الخروج من هده الدوامة ...

كانت يقين في الغرفة هائمة حزينة حين دخل زياد من دون أن يكلمها ...

فقد اعتاد على ذلك لأنه يعرف أنها لن تجيبه ككل مرة ...

لكن هذه المرة كان الأمر مختلف ...

كانت مفاجأة أسرت زياد رغم ما يتخللها من صعوبات على يقين ...

جلس أمامها وبقي ينظر إليها بصمت و قلبه ينفطر حزن على حالتها ...

في تلك اللحظة وجهت يقين نظراتها نحو زياد ...

بشكل فاجأه ...

و بسرعة لاحت بين عينها العسلية قطرات دموع ما لبثت أن انهمرت بغزارة و خرج من بين صفحات وجهها المتألم صوت مختنق يقول: أنا خائفة ... أرجوك ساعدني أنا خائفة بشدة ...

لأول مرة بعد تلك الصدمة ...

لأول مرة تبكي ...

و لأول مرة تتكلم ...

كان سعيد بقدر ما كان يؤلمه حالتها ...

و من دون أن يشعر بنفسه فقز نحوها و احتضنها بقوة و قال لها و هو يشد على صوته كأنه يؤكد ما يقوله مضاعفا: لا تقلقي لا شيء يخيف أنا معك لا تحزني كل شيء سيكون على ما يرام ...

بعد بضعة دقائق هدأت يقين ...

انطلق زياد بحماس يجلب لها الطعام و يجلعها تأكل ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في الليل كان ينام بجانبها لأنها أصبحت تكثر من الإستيقاظ في الليل جراء الكوابيس و تبكي كثيرا و تصرخ كثيرا فيقوم هو بتهدئتها ...

و من شدة التعب كان يكتفي باحتضانها لتهدأ هي و يواصل هو نومه ...

في الصباح كان يستيقظ ليكون أول شيء يراه هو وجهها الملائكي ...

فتضطرب دقات قلبه و يحس بشعور غريب لم يعهده من قبل ...

بعد مرور أيام أصبحت يقين تستيقظ كل فجر و تقوم بتأدية صلاتها و هي تبكي و يسمع زياد وسط بكائها كلمات اعتذار لله لأنها فرطت في صلاتها كل هذه المدة ... فيشعر بالأسى على نفسه و تشتد به دوامة الحيرة و لا يجد ملجأ سوى بتجاهل كل ذلك و النوم ...

مع الأيام أصبحت يقين أفضل حال و عادت إليها الابتسامة ...

بعد ذلك عاد زياد للعمل و قد وجد فرصة جيدة له للخروج من وضعه و هو بعقد شراكة مع شركة أجنبية و هكذا يكون عليه أن يسافر مع يقين ليكون باله أكثر راحة بوجود يقين بعيدة عن تلك العصابة ...

و تمر سنتان في بلاد الغربة ...

أصبح عمر يقين 20 سنة و أصبحت تدرس في الجامعة و رغم الصعوبات التي واجهتها بهيئتها في التأقلم مع رأي الطلاب نحوها إلا أنها استطاعت بقوة عزيمة أن تواصل دربها من دون أن تهتز ثقتها في نفسها و لا في خالقها ولا في دينها ..

خلال تلك الفترة حدث أمر أسعد زياد كثيرا ...

كان يشاهد التلفاز و قد لاحظت يقين شغفه الشديد و تحمسه لما يشاهده و قد علمت من تعابير وجهه شديدة الاهتمام أنه أمر مهم جدا ...

حتى أنه بشكل غير اعتيادي أصبح شديد المكوث أمام التلفاز و كأنه ينتظر شيئا مهما ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لكن ما جعلها تطمئن هي تلك الابتسامة المتطلعة التي كان يرسمها و هو يتابع الأخبار ...

و بعد أيام قليلة بينما كانت يقين في المطبخ تعد بعض الطعام لهما ...

اقتحم زياد المطبخ بسرعة و هو يهلل فرحا : أنا سعيد جدا أخيرا انتهت مشكلتنا أخيرا ...

ثم عانقها بقوة و جعل يدور بها و هي مندهشة مما يفعله ...

بعد لحظات من التهليل و الحماس انتبه زياد لنفسه فقام بإنزال يقين و قد تخللت تعابيره حمرة خجل ...

و لم تكن يقين أفضل منه حالا ...

لكنها لم تستطع أن تتجاهل فضولها لما جرى فقالت بصوت مضطرب : ما ما الذي حدث ...

عندها عاد الحماس إليه و بدأ يقول بعفوية غير معتادة عليه: لقد انتهت مشكلتنا

نظرت اليه باستغراب و قالت: أي مشكلة؟

- لقد مات ... مات و ارتحنا لم يعد هناك من يحاول أن يؤذيك

تكلمت بهدوء لا تخفى عليه قسمات الدهشة: من؟

-إنه الحقير النذل جمال الذي يحاول أذيتك

تذكرت يقين ما حدث معها فلمعت عيناها بقطرات دموع مسحتها بسرعة و ابتسمت ابتسامة يشوبها الأسى و الالم و الحزن: و لكن لماذا يحاول أذيتي؟ ما الذي فعلته له أنا؟؟

نظر إليها زياد بدهشة و قد أدرك أنه لابد لها أن تعلم كل الحقيقة و بما أن المشكلة قد انتهت فلا ضرر في ذلك ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اطلق تنهيدة صغيرة ثم قال: لقد أخبرني والدك بكل شيء ... قبل 20 سنة فتح ذلك الصراع ... صراع من أجل والدتك التي أصر جمال على الزواج بها رغم أنه كان متزوجا و لديه ابن و لم يمل يوما من مطاردتها و محاولة الاستحواذ عليها لذلك تزوجها والدك لكي يحميها لكن حتى و هي قد تزوجت من والدك هربا منه ... لقد كان مجنونا متعطشا للسلطة و يريد كل ما يرغب به يصبح بين يديه و كانت والدتك جزء من رغباته و قد كان له أخ يسانده في ذلك ... و لم يجد والدك مهربا منهم سوى بمواجهتهم ... خلال ذلك الصراع انتصر والدك بفضل أصدقاءه و قوته و قد توفي أخ جمال خلال ذلك الصراع و أصيب جمال بأضرار كبيرة لكنه كان قد تعهد بأنه لن يترككم تعيشون في سلام و أنه لن يرتاح له بال حتى يهدر دم شخص من عائلتكم بطريقة بشعة بعد أن يعذبه كثيرا ... لم يستطع ذلك عندما كان والدك حي لأنه كان جبانا و يخشى من والدك و كل محاولاته تبوء بالفشل لذلك بدأ بمطاردتك بعد موته و لذلك جعلك والدك تحت حمايتي و يبدو أنني فشلت (كانت تعابير وجهه قد باتت حزينة أسفة لشخص خذلته نفسه و قوته و خذل هو من وضع فيه ثقته ثم واصل الحديث) لكنه منذ أيام تعرض لنوبة قلبية حادة و ظل في العناية المركزة لأيام و اليوم نقلوا خبر وفاته في التلفاز و بهذا تنتهي جميع مخاوفنا ...

أجابته يقين صوت حازم : لماذا تقول هذا؟

ثم دمعت عيناها و بكت ...

بينما وقف زياد ينظر إليها متسائلا ...

فواصلت كلماتها: إنني أشعر بتأنيب الضمير في كل يوم يشتد في داخلي ... لقد تركت حياتك و راحتك و كل شيء تريده من أجلي ... من أجل حمايتي واجهت صعوبات كثيرة تحملت ثقلي على كاهلك و سهرت الليال متعب لتوفر لي راحتي و قمت بأشياء كثيرة قد تنساها انت لكن لا يمكنني نسيانها ... ثم تأتي و تقول بأنك فشلت؟ عن أي فشل تتحدث لقد وعدت ابي أن لا أسبب لك الإزعاج و لكن بوجودي صارت كل لحظة في حياتك مزعجة و أنت تتحدث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عن فشلك أنا الفاشلة لا أعلم إلى متى ستعاني بسببي أنا آسفة أنا آسفة ...

دق قلبه لرؤية حالتها تلك ...

شعر بأسف شديد فاقترب منها و أمسك يديها و قال لها: لا تقولي هذا صحيح أنني كنت منزعجا بداية الأمر و لكنني عرفت بعد ذلك أنه لا شيء يسعد الرجل غير الوفاء بوعده ... دعينا من كل هذا لقد انتهى كل شيء فلنكن أصدقاء و نعيش على هذا المنوال ...

شعرت يقين بسعادة شديدة لهذه المبادرة ...

و أومأت برأسها إيجابا و هي تمسح دموعها و قد بدت على شفتاها ابتسامة عريضة نابعة من سعادة كبيرة ...

فكيف لا تكون سعيدة و قد أصبحت قريبة من الشخص الذي تحبه ...

أجل إنها تحبه ...

ذلك هو الشيء الوحيد الذي أصبحت متأكدة منه خلال كل هذه الفترة معه ... و قد سلمت بهذه الحقيقة ...

و كتمتها في قلبها لأنها تعرف جيدا أنه لا يبادلها المشاعر و لن يفعل ذلك أبدا ...

انتهى عقد الشراكة و عاد زياد و يقين لبلدهم ...

كان مرتاحا جدا بعد خبر وفاة جمال ...

أصبح يعلم أنه لا شيء سيعكر صفو حياته و سيكون قادرا على العيش كما يريد ...

لكنه لم يستطع فقد اعتاد على قرب يقين منه ...

بل لم تعد تروقه تلك السهرات و تلك الأجواء أصبحت تشعره بالضجر ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حاول العودة و ظن أنه برؤيته أصدقائه سيسترجع رغباته تلك لكنه لم يستطع ... حتى صديقه اشرف قد لاحظ ذلك و كل ما كان يسأله كان يقول : لا شيء أنا متعب من العمل فحسب ...

رغم محاولاته الكثيرة و مكوثه في البارات ليسترجع حياته القديمة إلا أنه كان يضجر كثيرا فيعود باكرا للمنزل ...

و هناك يجد يقين ماكثة أمام التلفاز و تجلس في هدوء و تستقبله بابتسامة لطيفة عندما يعود ...

ابتسامة يحسها كالمرهم الذي يحرق الجرح لكنه يداويه ...

و ما يلبث حتى ينظم لها و يقضيان وقتا ممتعا بالضحك و المزاح ...

كانت قد تكونت صداقة جميلة بينهما ...

صداقة سوت لهما حياتهما ...

تركت في قلب زياد راحة رغم الفراغ الذي يحس به بين الفينة و الأخرى ...

لكن حدث شيء عكر هذه الصداقة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عودة الماضي

اتصال من رقم غريب ...

رد عليه ...

كان الصوت مألوف ...

صوت أنثوي لم يسمعه منذ وقت طويل ...

كانت شيماء ...

صوتها غريب تكسوه نبرات تعب لم يعرف سببها لكنه قرر أن يرد عليه رغم تذمره من ذلك الاتصال و قد تذكر اخر مرة التقيا فيها و ما حدث قد جعله ينزعج

... رد بصوت يشوبه البرود: شيماء

كانت تتكلم بصعوبة : أجل شيماء كيف حالك؟

- على ما يرام و أنتي

- بخير

- ماذا تريدين؟

- أريد أن أراك لآخر مرة رجاءا

استغرب زياد من كلمة أخر مرة لكنه سرعان ما تجاهلها و قال: لماذا؟

-عندما تأتي سوف أخبرك إنه أمر ضروري ...

أخبرته عن عنوانه ...

فاتجه نحوها مباشرة ...

عندما رن جرس الباب فتحت له فتاة أخرى ...

فتاة لا يعرفها و قد رمقته بنظرة حادة يبدو أنها تعرف عنه الكثير ...

بلهجة قاسية طلبت منه الدخول و دلته إلى غرفة شيماء ...

عندما دخل هاله منظر شيماء ...

كانت في حالة يرثى لها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختفت جميع معالم وجهها الحسناء وسط شحوب و هزال شديد مع صفرة لفت كل وجهها المتعب ...

شعر بالذهول و تقدم نحوها بسرعة : ما الأمر شيماء لماذا حالتك هكذا؟

ابتسمت شيماء و ما ان همت بالكلام حتى راودتها نوبة سعال شديدة نظر زياد إليها و قد لفت انتباهه تغير لون المنديل الأبيض إلى الأحمر ففزع بشدة و قال: شيماء هل أنتي مريضة أخبريني ما الذي حدث لك؟

أجابته بصوت هامس متقطع : أنا سعيدة لأنك تبدي لي هذا الاهتمام على الأقل أعلم أنك لا تكرهني أرجوا أنك لن تلؤه ني حتى بعد هذا اليوم ...

نظر إليها في حيرة من كلامها الذي لم يفقه منه شيء ...

و لم يتوفق لأن يسألها لأن صوت الفتاة قاطعهما ...

التفت فإذا بها نفس الفتاة التي فتحت له تحمل طفلا صغيرا يبدو أن عمره سنتان ...

و قد كان واضحا كثيرا لزياد ذلك الشبه بينهما ...

انقبض صدره و حاول أن يطرد تلك الفكرة من رأسه و هو يرجوا أن لا يكون ما يفكر به صحيح ...

ابتلع ريقه بصعوبة و غير نظراته نحو شيماء التي تنظر إليه بقلق شديد ...

وضعت الفتاة الطفل فانطلق مسرعا نحو شيماء و احتضنها ...

حينها أمسكت به شيماء و أدارته نحو جهة زياد و قالت له : حبيبي ذلك هو بابا الذي أخبرتك عنه سلم عليه ...

عندها انتفض الصغير بسرعة و هب معانقا قدم زياد الذي كان يقف في صدمة و لم يقم بأية ردة فعل ...

أيقظه من صدمته صوت الفتاة و هي تقول له بصوت حاد: سلم على ابنك انه ينتظرك ...

لم يجبها إنما أجابتها شيماء بصوت حنون متعب : لا بأس يا رانية لا ترغميه على ذلك ...

في ذلك الحين ثار زياد غاضبا : لماذا فعلتي ذلك؟ ألم تعيديني بأن تجهضي لماذا غدرتي بي ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ردت عليه رانية بانفعال و عصبية : ما الذي تقوله ... من الذي غدر الآخر ؟ يا لك من وغد حقير ...

نظر إليها زياد بعينين ساخطتين نظرة جعلت قلبها يرتعش خوفا و لكنها حاولت إخفاء ذلك و هو يقول لها: من أنتي؟ و بأي حق تكلمينني بهذه الطريقة؟

-أنا ابنة عم شيماء و أنت سبب في دمار حياة شيماء و لن أسامحك على ما فعلته بها ...

-أنا لم أفعل بها شيء ... كان الحل سهلا ... كان عليها أن تجهض و تنهي كل هذه المهزلة ...

تكلمت شيماء بصوت باك : لم أستطع فعل ذلك أنا آسفة اعلم أنني أخطئت في حقك ... ظننت أنه سيمكنني أن أعتني به بعيدا عنك من دون أن أزعجك و لكن الظروف حكمت بغير ذلك ...

ثم بدأت تنهار فاندفعت رانية نحوها و هي تقول لها: اهدئي أرجوك هذا ليس جيد لك سأشرح له كل شيء عليك أن ترتاحي ...

تغيرت ملامح زياد إلى الأسف و هو ينظر لها لكنه لا يزال غاضبا و قد وجد نفسه في ورطة أخرى لا مخرج منها ...

تكلمت رانية: أرادت شيماء أن تحتفظ بذكرى منك لم تستطع أم تقتل الشخص الوحيد الذي يجمعكما... لم تستطع أن تقتل ابنها ... فأي أم قد تفعل ذلك و لذلك قررت أن تنجب زيد دون أن تخبرك بذلك و تقوم بتربيته لوحدها من دون أن تزعجك لكن المرض باغتها و نال منها و هي الآن تحتضر و تريد أن تؤمنك على ولدكما ...

عادت شيماء للكلام و قد كانت تنطق الكلمات بصعوبة: أنا آسفة لا يمكنني الهرب من مصيري المحتوم أريد فقط أن أترك ابني في رعاية والده قبل رحيلي فلا يمكنني أن أتركه في أي مكان... و إن كنت رافضا لذلك فلا خيار لدي سوى أن أتركه في دار رعاية الأيتام ...

تحركت غريزة الأب داخل زياد و أدرك أنه لا مهرب من هذه المسؤولية ... و لكن يقين؟

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ماذا ستكون ردة فعل يقين ؟

هل يمكن أن تسامحه؟

هل ستقبل بهذا الأمر؟

ما الذي عليه فعله ؟

كيف سيخبرها بذلك؟

ترك زياد شيماء و قد أخبرها أنه سيعود في الغد ...

عاد للبيت فاستقبلته يقين بابتسامتها المعتادة مرحبة...

نظر إليها في حزن و أسى و قد بات يخشى أن لا يكون بإمكانه رؤية هذه الابتسامة بعد أن تعلم بما حدث؟ كيف سيخبرها؟

على مائدة الطعام لم يكن يأكل كالمعتاد ...

لم يستطع أن يأكل فقد شبع من صدمة اليوم ...

نظرت له يقين في ريبة و سألته : ما بك ما الذي حدث لك؟

لم يجبها و اكتفى بإيماء سلبي و هو يطرق برأسه ...

بدت تصرفاته المتغيرة واضحة تلك الليلة ...

لم يتكلم بل كان حزينا حزنا ظاهرا و شديدا و بدت عليه الحيرة طاغية ...

و ما كان من يقين إلا أن تصر على معرفة ما به ...

فسألته: ما الأمر؟ أخبرني ما الذي يشغلك كل هذا الحد؟ تبدو متعبا جدا

نظر إليها و لم يجبها و لكن نظرته كانت كافية لتؤكد لها إنه في ورطة و حيرة فواصلت كلامها: ألم تقول بأننا أصدقاء ... حدثني بما يشغلك ... لا يمكنني أن أتحمل رؤيتك على هذه الحالة ... ربما أستطيع أن أساعدك فأكون سعيدة بذلك...

كلمات شجعته ليقول بصوت مخنوق : أنا في ورطة

-هذا واضح.. أخبرني ربما يمكنني مساعدتك

- و لكن هل يمكنك أن تسامحيني

- ماذا تقصد؟

فحدثها بكل شيء من البداية و حتى هذا اليوم ...

كانت تستمع له في صدمة شديدة ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و ما أن أنهى كلامه حتى جلس يراقبها و يترقب منها أي إجابة ...
ابتسمت يقين ابتسامة قهر و قالت بهدوء: لا بأس اجلبه للمنزل فهو يملك الحق بذلك ... سيكون ذنب كبير أن تتخلى عنه في هذه الأوضاع ...
اطمئن زياد من جوابها و أحس لوهلة أنها لم تتذمر من الوضع فقال لها بامتنان : شكرا لك لقد ساعدتني كثيرا لن أنسى لك هذا ...
فابتسمت و قالت : أنا لم أفعل شيء ... هو أحق بهذا المنزل مني و يجب أن أعطيه حقه ... فعلى أي حال مازال سنتين سأنهي فيهما دراستي و سننفصل كما اتفقنا ...
قالت ذلك ثم غادرت متجهة نحو غرفتها ...
تاركة زياد يتخبط في المزيد من الحزن ...
فكلمة انفصال جعلت قلبه ينقبض بقوة ...
و شعر أنها لم تعد تروق له ...
أما يقين فكانت تسبح في دموعها بعد ما سمعته ...
مرت 3 أيام كانت يقين قد حبست نفسها في غرفتها و لا تخرج إلا لتعد له الطعام و تتركه على المائدة و تعود ...
عندما يعود زياد يكون أول شيء يود رؤيته هو ابتسامة يقين التي اعتادها لكنه قد حرم منها ينظر مطولا لمائدة الطعام بنفس ضيق ثم يتركه و يذهب لفراشه محاولا الإمساك بحبل نجاة بين حبال الأفكار التي تسهر معه ليله و ترافقه يومه ...
يتذكر الصلاة و الدعاء و في داخله قناعة أن هذا الأمر قد يساعده كثيرا للخروج من محنته...
لقد شاهد كثيرا كيف تلجأ يقين لذلك دائما ... يعجبه صمودها رغم الصعوبات ...
ربما إيمانها و ثباتها هما السبب هما من يمدانها بالقوة لتصمد...
لكنه يجد نفسه عاجزا عن القيام بذلك و مكبلا بقوة تمنعه من الخطو خطوة في اتجاهه ...
في آخر الليل جاءه اتصال من رقم بيت شيماء ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انقبض صدره لدى رؤية الإتصال و ما ان رد حتى جاءه صوته دانية فزعة باكية : لقد ماتت لقد رحلت

قفز من فراشه و اتجه مسرعا نحو بيت شيماء ...

قضى تلك الليلة و ذلك اليوم في مراسم العزاء ...

و في الليلة التالية كانت يقين في غرفتها حينما سمعت جرس البيت يرن ...

استغربت كثيرا فلم تعتد على زيارة أحد ...

فلبست حجابها و أسرعت نحو الباب ...

أطلت من فتحة المفتاح فلاح لها وجه زياد ...

ففتحت له الباب بقسمات باردة قالت له: كان عليك أن تأخذ المفتاح معك ...

قالت ذلك ثم وجهت نظرها نحو طفل صغير جميل يشبه زياد كثيرا كان يقف في وراء زياد و يتشبث ببنطاله و يطالع يقين بعينين دامعتين ...

أما زياد فأجابها و هو يخفض رأسه: لقد نسيته أنا آسف

فقالت له : لا بأس

و غادرت ...

نامت يقين و عند الصباح استيقظت و لم تجد زياد لقد غادر من أجل العمل ...

فجأة سمعت صوت أنين ...

تبعته فإذا به يخرج من أقطاب غرفة قريبة مجاورة لغرفة زياد ...

فتحت الباب في هدوء فرأت ذلك الطفل الصغير جالسا على السرير و يبكي ...

تقدمت منه بهدوء ..

و قالت بصوت حنون: ما الأمر يا صغيري ...

فتكلم بلهجة طفولية و نطق عسير يقصد به: اريد ماما ...

رغرغت عيناها و هي تنظر له و قد تذكرت يتمها و كيف فقدت والدتها و شعورها و احتياجها الشديد لحنان والدتها ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاقتربت منه و بدأت تمسح له دموعه بلطف و قالت له: لا أعلم أين ماما ...
لكن يمكنك أن تعتبرني أنا ماما إلى أن تجدها ...
فنظر إليها الطفل ببراءة و قال : أنتي ماما ...
ابتسمت و قالت له : أجل ...
فضحك الصغير ببراءة جعلت قلب يقين يرفرف و تسعد لأنها استطاعت أن تجعل الضحكة تقتحم وجه هذا الطفل الجميل الذي لا يملك ذنب في كل ما حدث ...
حملت يقين الصغير و أخذته للحمام حممته و بدلت له ملابسه ثم اتجهت به نحو المطبخ و أعدت له الطعام و جعلته يأكله و أمضت معه وقتا سعيدا و عندما اقترب موعد عودة زياد ...
تركته في غرفته و عادت إلى غرفتها ...
عندما عاد زياد ألقى نظرة على زيد ...
نظرة باردة خالية من أي شعور سوى بالمسؤولية...
عندما رأى زيد والده أسرع نحوه و احتضن ساقه كما يفعل دائما ...
أبعده زياد عنه و قال له : هيا معي لنأكل لا بد أنك جائع ...
أومئ زيد برأسه سلبا و قال له : أنا شبع ... الحمد لله
استغرب زياد من عبارة الحمد لله على لسان طفل صغير لا يفهم شيء ...
و قال له : كيف شبع؟
-لقد أكلت ...
-من أين جاءك الطعام؟
-لقد أعطتني ماما كثيرا من الطعام و قدمته لي بيدها ...
استغرب زياد : من ماما؟
-ماما التي هنا... الجميلة اللطيفة
لاحظ زياد في ذلك الوقت ملابسه التي تغيرت فابتسم و قال له: و هل ماما علمتك أن تقول الحمد لله؟
فابتسم زيد ببراءة و قال : أجل لقد أخبرتني أنه عليا أن أقول الحمد لله بعد أن آكل ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتركه زياد و غادر الغرفة ...

وقف أمام غرفة يقين و قد اشتد شوقه لرؤيتها ...

لقد اشتاق لابتسامتها و اشتاق لنظرات المحبة البادية على قسمات وجهها ...

تلك النظرات التي تخبره أن كل شيء بخير ...

نظرات تحمل طاقة يشحن نفسه بها...

لقد ظن أنه قد أصبح قويا لكن ما حدث معه جعله يدرك ضعفه ...

شعر أن يقين أقوى منه ...

و لم يعلم مصدر قوتها بعد ...

لكنه كان يشحن نفسه من قوتها كلما قابلته بابتسامتها الثابتة و هدوءها الذي يجتاح نفسه بوجوده ...

و كم في أشد حاجته لكل هذا في لحظته هذه ...

تمنى لو يستطيع أن يطرق الباب و لو أنها تفتح الباب و تبتسم له و لو أن كل الأمور تعود كما كانت قبل أيام قليلة ...

لماذا عليه أن يعاني؟

لماذا عليه أن يعيش حيرة دائمة في حياته؟

لماذا لا تدوم سعادته؟

كان يفكر كيف أن هذه الفتاة شديدة اللطف ...

كيف اعتنت بزيد و هو ليس ابنها ...

ليتها تكون لطيفة معه و تسامحه ...

لم يعلم أن يقين لم تكن تدرك كل تلك المشاعر التي تنتابه ...

أصبحت ترى نفسها مجرد دخيلة ...

و اقتنعت أنه لا مجال لأن تتواصل هذه العلاقة بينهما ...

و أنه عليها أن تنسحب من حياته قبل أن يتغلغل حبه في قلبها أكثر فأكثر فتعجز عن فراقه في الموعد ...

في غرفته كان تعيسا ...

يفكر في عدة المصائب التي حلت به ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعاوده كلمات قرأها في المصحف ...

في داخله يدرك أن الحل بين يديه ...

أن هناك أمر يستطيع القيام به ليريحه من كل هذا العذاب ...

بين يديه شيء قد يمنح نفسه الراحة ...

لكن ما الذي يكبله؟

لماذا يجد ذلك صعبا رغم بساطته ...

و يقين ...

ليتها تشعر به ...

ليتها تساعده ...

ليتها تريحه من هذا العذاب ...

ليتها تعود إليه ...

كان هذا ما يشغل تفكيره ...

كل حياته انقلبت رأسا على عقب ...

و فجأة أصبح أبا لطفل لا يحس نحوه سوى بنفور غريب ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النقطة الثالثة

جاء الصباح ...

اليوم عطلة ...

على غير عادته استيقظ زياد باكرا ...

لقد فارق النوم جفونه و غادرت الراحة سواعد روحه ...

كان جالسا على مائدة الإفطار بوجه متجهم يغلبه الحزن و يحتله الصمت ...

جاء زيد بحيوية الأطفال يقفز و يمرح لا يعلم عن هموم الدنيا شيء ...

كالعادة يمسك بساق والده في ترحيب و تهليل ...

كان زياد في مزاج سيء و معكر و زاد زيد من غضبه ...

فقام بسرعة بنفضه بقوة عن قدمه فألقى به بعيدا عنه و أرداه واقعا وقعة مؤلمة و قال له بلهجة قاسية يكسوها الغضب و قد لمعت من عيناه القوية ذات السواد الشديد شرارة حقد مخيف : ابتعد عني لا أريد رؤية وجهك المزعج ...

أحس الصغير بألم شديد ألم جسدي جراء الوقعة و ألم روحي أشد من سابقه من كلماته الجارحة فانفجر صارخا و باكيا ...

بينما بقي زياد يراقبه في انزعاج ...

عندها قدمت يقين مسرعة نحوه ...

و عندما رأته على تلك الحال قامت بحمله بكل لطف و بدأت تربت عليه بحنان و تقول بلهجة دافئة: إهدأ يا صغيري ما الذي جرى لك ...

كان زيد يشهق و يبكي و هو ينظر إلى والده نظرة ساخطة نظرة شبيهة بنظرة والده و هو الذي قاسمه نفس العيون القوية و لكن هذه النظرة رغم كل شيء إلا أنها لا تخلو من قسمات البراءة ...

براءة طفل لا يعرف معنى الحقد...

فهمت يقين من كل ذلك أن زياد هو سبب ما حدث لزيد ...

فرمقته بنظرة عتاب و قالت له بصوت هادئ: يجب أن تكون لطيفا مع الطفل فهو ابنك على أي حال...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شعر زياد كأن سكينا انغمس في صدره ...

أحس كأن يقين تتقصد أن تذكره بخيانته و كأنها تعلمه أنها لم تسامحه على ما فعله ...

فأجاب و قد اكتسحه الغضب مضاعفا: ليس ابني و لا أريد ابنا مثله و لن أكون لطيفا معه ان كنتي تخشين عليه فابعديه عني ..

بقيت يقين تنظر إليه في ذهول ثم قالت و قد اغرورقت عيناها بالدموع: لكن ما ذنب هذا الصغير ؟ هل مقدر عليه أن يعيش يتيم الأم مثلي و لأب يكرهه

في تلك اللحظة تذكر زياد عائلته

تذكر كيف كان والداه يتصرفان معه بقسوة ...

كيف تألم كثيرا لأنهما لم يباليا به ...

لم يقل أي كلمة بل غادر البيت فورا ...

بينما بقيت يقين تلاعب زيد و تطعمه و تلاطفه ...

مع الأيام تعلقت يقين بزيد كثيرا ...

و كان هو أشد تعلقا بها ..

بينما عجز زياد عن القيام بأي مبادرة بل كان يراقبهما من بعيد ...

أحيانا تراوده السعادة و هو يشاهد مرحهما و يشاهد حب يقين لزيد ...

يتخيل نفسه بينهما فيشكلان عائلة سعيدة ..

تمنى عدة مرات لو أن زيد ابنهما معا ...

يحزن كثيرا من عجزه ..

.لقد أدرك خطئه ...

لكنه يجد صعوبة في تقبل ابنه ...

يجد صعوبة أكبر في التواصل معه ...

في كل مرة يراقبهما فيه كانت يقين تلاحظ علامات وجهه المتغيرة ...

مع الوقت بدأت تفهم ما يجول بخاطره ...

فقررت أن تساعده ...

لذلك قامت بإخراج الخوف من قلب زيد نحو أبيه ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعندما عاد زياد للبيت متعبا مهموما ...

فاجأه صوت زيد قادما نحوه بمرح جميل : بابا بابا

و انقض على رجله و عانقها كالمعتاد ...

بينما بقي زياد يراقبه في ذهول و دهشة و عاجز عن فعل أي شيء ...

حينها جاءت يقين على وجهها تلك الابتسامة التي يحبها زياد ...

و قالت له بصوتها الرقيق في هدوءها المعتاد : احمله عانقه و قبله ...

سيحدث ذلك فرقا ...

تردد قليلا و لكن تشجع و قام بما قالته ...

فأعطاه ذلك شحنة هائلة من السعادة ...

و للحظات بقي يراقب وجه صغيره البريء و يستمد منه حب الحياة ...

يستمد من سعادته العفوية بلسما لروحه ...

التفت ليقين فإذا بها تراقبهما في سعادة و ارتياح ...

و مرت أيام تقرب فيها زياد من ابنه فأحبه ...

و تحسنت فيها علاقته مع يقين و لكنها لم تعد كما كانت قبل ...

و جاء يوم غير الكثير في حياة زياد ...

يوم سيكون هو نقطة الانتقال الثالثة هي الأخيرة في حكايته ...

و لكنها ليست الأخيرة في حياة الإنسان ...

كان في مكتبه ... رن هاتفه ... كان رقم هاتف البيت ... رفع السماعة فإذا به يسمع صوت بكاء هامس ... لقد كان صوت يقين فزعة و يبدو عليها الخوف ...

وقف من مقعده فزعا : يقين ما الأمر تكلمي أرجوك

كانت تلهث و يبدو عليها الرعب: يريدون قتلنا ... سيكسرون الباب أرجوك أنقذنا

فر من مكانه متجها للمنزل ...

بينما كانت يقين قد اتصلت بالشرطة في نفس الوقت ...

كسر الباب و دخلت تلك العصابة البيت ...

و جابته تكسر كل شيء فيه ...

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بينما كانت يقين مختبئة مع زيد وراء أريكة ...

كانت قد أغلقت فم زيد بيدها لتمنعه من إحداث اي صوت ..

و اخذ قلبها يردد الأدعية المتوسلة لله تعالى بأن ينقذهم ...

بعد سرعة هائلة على الطريق المؤدية للمنزل ...

وصل زياد ...

دخل مسرعا ...

فإذا به أمام 5 أشخاص ... 4

ضخام الجثث و بينهم شاب يشبه جمال لحد ما ...

تكلم بصوت حاد: من انتم و ما الذي تريدونه؟

فقال الشاب : جئت لأكمل ما كان أبي يقوم به ... لا تظن أن بموته قد ننسى العهد الذي قطعه ... المرة الماضية أراد تعذيبها فتركها اما هذه المرة فستموتون جميعا ...

فانقض عليهم زياد يعاركهم بكل ما عنده من جهد ...

كان وحده و هم خمسة التفوا حوله يسددون له أقوى الضربات ...

في كل مرة يقع فيها و تخور قواه كان يتذكر يقين و ابنه اللذان بالداخل يقاوم الألم مهما كان شديدا و يقف ليعاود صدهم ...

بينما كان يسدد اللكمات لهذا و ذاك ...

فجأة اقترب منه احدهم و سدد نحوه طعنة بسكين حادة ...

لم يشعر بألمها في البداية و بقي يواصل الضرب بعد إن نزعها من جنبه و ترك الجرح ينزف ...

بل انه قد أصر على التخلص من الشاب لأنه هذا الحل الوحيد لتتخلص يقين من عذابها نهائيا ...

لذلك أسرع نحو سكين كانت على طاولة بعد مقاومات لهم و هم يتابعون ضربه و يشدونه حتى لا يصل هناك ...

لكنه أخيرا وصل...

في ذلك الحين خرجت يقين أرادت أن تطمئن على حال زياد فقد علمت من الأصوات أنه قد وصل و لم تستطع التحمل و قد خشيت أن يصيبه أذى ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان الشاب وراءه و عازما على ضربه بقوة على ظهره فصرخت يقين بقوة:

زياد احذر ورائك ...

بسرعة استدار زياد و سدد الطعنة تحت قلبه ثم صرخ في يقين استديري

حالا قال ذلك لأنه خشي أن تعاودها الصدمة إذا رأت حالة قتل أخرى ...

ثم عاود مرة أخرى و هو يقاوم أيادي الرجال التي تمنعه بجهد متعب بعد

كل تلك الحرب و كانت هذه المرة في قلبه مباشرة فخر على الأرض جثة

بلا روح ...

في ذلك الحين دخلت الشرطة كعادتها تصل في وقت متأخر...

فكبلوا الرجال و اخذوا جثة الشاب ...

نظرت يقين نحو زياد الذي كان يقف و هو ينظر إليها ...

كان قميصه الأبيض قد أصبح أحمرا بدمائه النازفة ...

العرق يتصبب على جبينه و يلتقط أنفاسه بصعوبة ...

فزعت يقين من مظهره ذاك ...

فأسرعت نحوه و عانقته و هي تبكي و تقول : أرجوك اخبرني هل أنت

بخير؟ ما كل هذه الدماء ... اخبرني أنك لم تصب بأذى ... أخبرني أنك

ستكون بخير ...

قاطعه صوته الهامس المتعب: يقين

نظرت إليه متسائلة...

فواصل: أنا ... أحبك

و خر مغشيا عليه ...

عندها صرخت يقين و هي تعانق رأسه و تبكي بحرقة شديدة: زياد أرجوك

لا تتركني وحيدة ... زياد أرجوك استيقظ ... زياد أنا أيضا أحبك ...

ثم تذكرت فجأة أنه عليها أن تتصل بالإسعاف ...

تذكرت هاتفه فبدأت تبحث عنه في جيوبه و أخيرا وجدته ...

وصلت الإسعاف و أخذته ...

كان قد نزف كثيرا ...

-Oو لحسن الحظ كانت زمرة يقين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

و لم تتهاون في أن تعطيه كل الكمية المطلوبة على الرغم من أنها كثيرة ...

بل قد تجاهلت تعبها و إرهاقها ..

حتى أنها تجاهلت زيد و ما يحتاجه ...

و بقيت تلازمه في المستشفى لكن من فضل الله و كرمه بعث لهم مرام و هي خطيبة أشرف صديق زياد و بقيت تساندهم كثيرا ...

فاعتنت بزيد و اهتمت بحالة يقين المتعبة و جعلتها تتناول الطعام غصبا عنها ...

كانت حالته صعبة جدا و مكث كثيرا في العناية المركزة ...

أما يقين فكانت تعود كل وقت صلاة فتدعو له كثيرا ...

لم تكن تنام الليل بل جعلت تتضرع لله كي يجعله ينهض سالما ...

رغم إيمانها الشديد بالله فإن فكرة إمكانية أن يرحل و يتركها تجعلها تكاد تجن ...

و ما كان الله ليخيب عبدا رجاه ...

بعد أيام بدأت حالة زياد بالتحسن ...

شيئا فشيئا استيقظ ...

كان أول وجه يراه هو وجه يقين المبتسم مع رغرغة دموع في عينيها و شحوب باد على وجهها ...

ابتسم لها في اطمئنان ..

. في داخله يحمد الله كثيرا لأنه نجا و سيعيش مع حبيبته يقين من جديد ...

لكنه عليه أن يتغير عليه أن يكون كما يحب الله ...

لقد تعب من الهموم و المشاكل فليعد لله ليطمئن قلبه ...

كان يراقب يقين و هي تعتني به كأنها تعتني بماسة ثمينة ...

تخشى عليه حتى من وخزة الم ...

نظر إليها طويلا ثم قال بصوت هامس: يقين ...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

رفعت يقين رأسها و قد تذكرت تلك اللحظة عندما اعترف لها بمشاعره غير المتوقعة فاحمرت وجنتاها رغم الشحوب الذي بدا عليها جليا من التعب ...

ثم ابتسمت و قالت له: ما الأمر ...

اطرق برأسه و قال و هو يستجمع الكلمات: أنا لا أريد أن أنهي زواجنا ... أريد أن تبقي معا طوال حياتنا ... لا يمكنني أن أعيش بدونك ... فهل توافقين على الزواج بي مرة أخرى ؟

أشرق وجه يقين بهجة و احمرت وجنتاها خجلا و ارتجف قلبها مضطربا و بارتباك قالت له: أنا أيضا أريد ذلك ...

فابتهج زياد ثم التفت إليها و أضاف: شيء آخر

أنا أريد أن أتغير ... أريد أن أصبح مؤمنا عابدا مثلك ... إني أعلم كل شيء ... لقد أعطاني الله فرصة جديدة للحياة ... فرصة لأتوب ... فأرجوكي ساعديني ...

اقتربت منه في دهشة و قد فاجأها كلامه لكنه أسعدها أمسكت يده في لطف و قالت له: بكل سرور ... أنا أعدك أنك ستصبح كما تريد ... يكفي أنك تريد ذلك ...

فابتسم لها بامتنان ...

مرت أيام خرج زياد من المشفى ..

عادت حياتهم على أفضل حال ...

ساندت يقين فيما عزم عليه زياد خطوة خطوة حتى تمكن منه ...

أخيرا ...

اكتمل زواجهما ...

و عاشا معا برفقة الصغير زيد حياة عائلية مبهجة ...

بعد ثلاث سنوات قدمت فرح لتزيد حياتهم بهجة ...

"و من يتق الله يجعل له مخرجا"

تمت

هذا الكتاب منشور في